أطيب الطيب

في

شمائل النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم

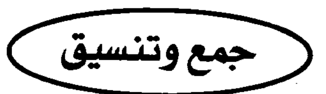




أطيب الطيب

في

شمائل النبي الحبيب ﷺ



أبو طلحة محمد يونس بن عبد الستار



(00966-4) 8368382-8380537


Mobile : 05 333 22 86

e-mail: k4arab@k4arab.com

ح أبو طلحة محمد يونس عبدالستار ، ١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عبدالستار ، أبو طلحة محمد يونس

أطيب الطيب في شمائل النبي الحبيب ﷺ . المدينة المنورة

١٤٠ ص ، ٢١ سم

ردمك : ٦ - ٠٠٠ - ٤٣ - ٩٩٦٠

١ - الشمائل المحمدية أ - العنوان

ديوى ٦ر٢٣٩ ٢٣/٤٠٥٢

رقم الإيداع : ٢٣/٤٠٥٢

ردمك : ٦ - ٠٠٠ - ٤٣ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى : ذوالقعده ١٤٢٣هـ

مطابع الوحيد - مكة المكرمة

عنوان الطلب

ص ب : ١١٠١ - المدينة المنورة

ت ٨٣٦٨٣٨٢ / ٠٤ - ٨٣٨٠٥٣٧ / ٠٤

جوال ٠٥٣٣٣٢٢٨٦ أبو طلحة

قال أبو طلحة

الإنسان مركب من الخطأ والنسيان ، فما وقع في كتابنا هذا من الخطأ فهو مني ومن الشيطان الرجيم والذي أرجوه من القراء الكرام أن يقوموا بواجبهم بالنصح حتى نستدرك ما وقعنا فيه ، ونتعلم منهم فليس المرء يولد عالماً وفوق كل ذي علم عليم



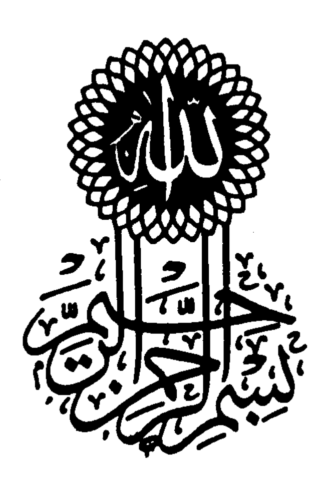
تنويه

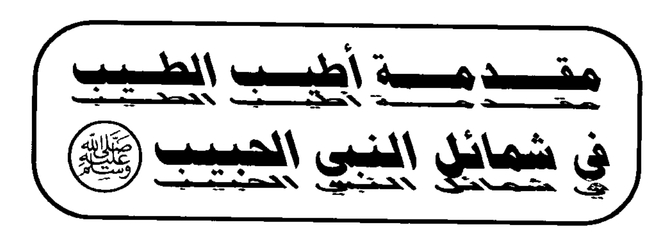
لا يفوتني أن أنوه بالذكر والشكر للمربية المشفقة الأستاذة / طيبة الإدريسي ـ حفظها الله ـ التي شجعتني على إخراج هذا الكتاب .

ولئن قصّرت في توفية حقها من الثناء والشكر فإنني أسأل الله عز وجل أن يجزيها أفضل الثواب والأجر.

أبو طلحة







الحمد لله الذي أرسل إلينا رسولا معروف النسب والحسب عُرفَ بالأمانة والصدق بين قومه منذ بدء نشأته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا وزراءه وأنصاره رضوان الله عليهم أجمعين وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

فأردت أن أذكر نبذا من محاسنه ومكارمه ﷺ وشطراً من شمائله وخصاله ﷺ المباركة : مختصراً وافياً وموجزاً شافياً ، فإن العاشق الهائم المهجورَ إذا فقد الوصال يتسلى بذكر الدار والحال ، ويتعلل بوصف الجمال وتذكار الخصال ، مع ذلك فأرجو به الثواب والنجاة من العذاب ، والشفاعة منْ حبيب رب الأرباب ﷺ كما آمل ممن قرأه الدعاء لي ولمن أشار علي بجمع هذا الكتاب ولجميع المسلمين والمسلمات .

أبو طلحة

الباب الأول

وفيه فصلان

الفصل الأول : في ثناء الله تعالى على حبيبه ﷺ في القرآن الكريم ونبذ من فضائله وشمائله ﷺ التي ذكرها الله تعالى في كتابه العظيم

الفصل الثاني : في نسبه الشريف ﷺ وبيان فضائله وشمائله ، وذكر محاسنه ومحامده ﷺ وشيئا من حسنه وجماله وكماله صلى الله عليه وسلم وذلك من كتب أئمة الحديث .



الفصـــل الأول

ثناء الله تعالى على حبيبه ﷺ في القــرآن الكـريـم

اعلم أن في كتاب الله العزيـز آيـات كـثيرة مُفصِحة بجميـل ذكر المصطفى ﷺ ، وعَـدِّ محاسـنه وشمائلـه ، ومناقبـه وفضـائله ، وتعظـيم أمـره وتنويـه قـدره بمـا تكـل عنـه الألسنة والأقلام - صلوات الله وسلامه عليه -

ففي هذه الآيات قد أثنى المولى على حبيبـه ﷺ وبـين فيهـا آدابـه وأخلاقـه ﷺ وحـض العبـاد علـى التزامه فكان المولى هو الذي تفضّل وأولى ، ثم طهّر وزكّى ثم مدح بذلك وأثنى ، ثم أثاب عليه الجزاء الأوفـى ، فلـه الفضل بدءاً وعوداً .

هــــذا ونبـدأ في بيـان هـذه الفضـائل والشـمائل بأمـر بـدأه الله تعـالى بنفسه .

فـنقول وبالله التـوفيـق :

إستمرار الصلاة على المصطفى ﷺ من رب العرش وملائكته

يقول تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب : ٥٦)

وفي أحكام القرآن ١٥١/١٤ للقرطبي رحمه الله :

قال سهل بن عبد الله رحمه الله : « الصلاة على محمد ﷺ أفضل العبادات ، لأن الله تعالى تولاها هو وملائكته ثم أمر بها المؤمنين ، وسائر العبادات ليس كذلك»اهـ

♥ قال أبو طلحة : إذا كان الآمر بالصلاة والسلام على رسوله ﷺ يصلي عليه بنفسه بما يليق بشأنه .

بهذا بدا للعالمين كماله ﷺ

♥ ويصلي عليه ﷺ الملائكة المقربون المعصومون ولا يفترون .

♥ ويصلي عليه ﷺ أولياء الله وعباده الصالحون من الرجال والنساء في الصلوات وغيرها .

♥ **أو إن شئت فقل** : يصلي عليه مالك السموات السبع والأرضين .

♥ويصلي عليه أهل العرش وأهل الأرض من أقطار السموات والأرض .

فهل للاقتداء والتقليد موضع أرفع من هذا؟
لا والله، وألف لا.

♥ كما أنه قيل في المثل: «**لا عطر بعد عروس**»

فنقول وبالله التوفيق: لا، لا بل، لا عطر بعد محمد المبعوث ﷺ الذي زينه الله بزينة الرحمة فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

♥ ثم لا عطر بعد الصلاة والسلام على الرسول ﷺ لأن الله تعالى تولاها (أي الصلاة) هو وملائكته ثم أمر به المؤمنين وسائر العبادات ليس كذلك.

فأشرك نفسك - أيها الأخ الكريم والأخت الكريمة - في هذا العمل السني، والأمر البيّن الجليّ، بنداء ربّ النبي ﷺ حيث قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦). ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾

قال الإمام السخاوي رحمه الله في «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ﷺ» ص ٢٨٦:

«فأكْثِر من الصلاة على سيد السادات، ومعدِن أهل السعادات، فإنها وسيلةٌ لنيل المسرّات، وذريعةٌ لأنفَس الصِّلات، ومنع المضَرّات، ولك بكل صلاة صليتها عليه عشرُ صلوات، يصليها عليك جبارُ الأرضين والسموات،

مع حطِّ سيئات ، ورفع درجات ، وصلاةِ ملائكته الكرام عليك في دار المقام ، ﷺ تسليماً كثيراً » . انتهى .

وقال في ص ٣٣٣ أيضاً : فأكثِر من ذكر نبيك بإحسان وأدمِ الصلاة عليه بالجنان واللسان ، فإن صلاتك تبلغه وهو في ضريحه ، واسمك معروض على روحه ﷺ . انتهى .

وذكر السخاوي في « القول البديع » ص ٨٥ حيث قال : والآية - أي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ - بصيغة المضارعة الدالة على الدوام والاستمرار ، لتدل على أنه سبحانه وتعالى وجميع الملائكة يصلون على نبينا ﷺ دائماً أبداً ، وغاية مطلوب الأولين والآخرين صلاةٌ واحدةٌ من الله تعالى ، وأنّى لهم بذلك ؟!

بل لو قيل للعاقل : أيما أحبُّ إليك : أن تكون أعمال جميع الخلائق في صحيفتك ، أم صلاة من الله تعالى عليك ؟ لَمَا أختار غيرَ الصلاة من الله تعالى ، فما ظنك بمن يصلي عليه ربنا سبحانه وتعالى وجميع ملائكته على الدوام والاستمرار ؟! ، فكيف يَحْسُن بالمؤمن أن لا يُكثر من الصلاة عليه أو يغفُل عن ذلك ؟! قاله الفاكهاني .. » .

وأفاد أيضاً - أي الفاكهاني - : أنه ليس في القرآن ولا غيره - فيما عَلِم - صلاةٌ من الله على غير نبينا ﷺ فهي خصوصية اختصه الله بها دون سائر الأنبياء . انتهى .

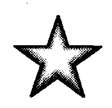
القرآن أنزله الله على قلب المصطفى ﷺ

أحسن الكتب وأعظمها : كتاب الله العظيم ، وهو سيد الكتب ، فقد أنزله الله على قلب المصطفى محمد المحبوب صلوات الله وسلامه عليه فقال رب العزة والجلال :

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة البقرة : ٩٧) .

وقال الله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ (الشعراء : ١٩٤) .

قال ابن كثير ٣٤٨/٣ : ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ أي نزل به ملك كريم ، أمين ، ذو مكانة عند الله ، مطاع في الملأ الأعلى ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ يا محمد ﷺ سالما من الدنس والزيادة والنقص ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ أي لتنذر به بأس الله ونقمته على من خالفه وكذبه ، وتبشر به المؤمنين المتبعين له . انتهى



هــو ﷺ أكمـل الخَلـق خُـلُقـا

قـــال رب العـــزة والجـــلال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (سورة القلم : ٤) .

فكيف لا يكون خُلقه عظيماً ؟ ودينه ﷺ أعظم الأديـان السـماوية ، وقـد علّمـه سـبحانه أحسـن تعلـيم ، وأدّبه سبحانه أحسن تأديـب ، وزيّـن هـذا الـنبي العظيم ﷺ بخُلق عظيم ، وأعلن ذلك في كتابه العظيم قائـــلا : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم : ٤)

قال القرطبي في تفسيره : ١٨/١٤٨ـ١٤٩ : وفي صحيح مسـلم ـ رقـم الحـديث: ١٢٣٣ـ عـن عائشـة رضي الله عنها « .. فإن خُلق نبي الله ﷺ كان القرآن .. » الحديث .

وسئلت رضي الله عنها أيضاً عن خلقه عليه الصلاة السلام فقرأت : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى عشر آيات . انتهى .

قلت : والعشر الآيـات هي : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ اهـ .

إذا ذكرتُ ذكِرتَ معي

قـــال الله تعـــالى : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (الشـــرح :٤)

وفي أحكام القرآن للقرطبي ٢٠/٧٢ : (قـال مجاهـد : يعـني بالتأذين . وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

أغـــر عليـه للنـبوة خــــاتم
مـــن الله مشهـود يـلوح ويشهـــد
وضــم الإله اسـم النبي إلى اسمـــه
إذا قـــال في الخمـس المـؤذن أشهد

ثم ذكر القرطبي وقال : «.. عن ابن عبـاس رضي الله عنهما قال : يقـول لـه : لا ذكِـرتُ إلا ذكِـرتَ معـي في الأذان ، والإقامـة والتشهد ويوم الجمعة على المنابـر ، ويـوم الفطـر ، ويـوم الأضحى : وأيـام التشـريق ، ويـوم عـرفـة ، وعنـد الجمـار ، وعلـى الصـفا والمـروة ، وفي خطبـة النكـاح ، وفي مشـارق الأرض ومغاربها .

♥ ولـو أن رجـلا عبدَ الله جل ثناؤه ، وصدّق بالجنـة والـنار وكل شيء ، ولـــم يشهد أن محمـــدا رسـول اللّـه ، لـم ينتفع بشيء وكان كافرا . انتهى كلام القرطبي.

قلت : وذكر الحـافظ ابـن كـثير في تفسـيره : ٤/٥٢٦ شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه أيضاً وزاد في آخره:

وشـــق له مـــن اسمـــه ليجـــلـه
فــذو العرش محمــود وهذا محمد 

ثم ذكر ابن كثير رحمه الله حيث قال : وقال الآخرون : رفع الله ذكره في الأولين والآخرين ، ونوه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به وأن يأمروا أممهم بالإيمان به ، ثم شهر ذكره في أمته ، فلا يذكر الله إلا ذكر معه ـ وما أحسن ما قاله الصرصري رحمه الله :

لا يصح الأذان في الفرض إلا
باسمه العذب في الفم المرضى

وقال أيضاً :

ألم تر أنا لا يصح أذاننا
ولا فرضنا إن لم نكرره فيهما انتهى

وقال القاضي في الشفاء ١٩/١ : وقيل : إذا ذكرتُ ذكرتَ معي في قول : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

قال الفقيه القاضي أبو الفضل : هذا تقرير من الله تعالى جل اسمه لنبيه ﷺ على عظيم نِعمه لديه ، وشريف منزلته عنده ، وكرامته عليه بأن شرح قلبه للإيمان والهداية ، ووسعه لوَعي العلم وحمل الحكمة ، ورفع عنه ثقلَ أمور الجاهلية عليه ، وبغَضه لسِيَرِها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله ، وحط عنه عُهدة أعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نُزّل إليهم ، وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ، ورفعة ذكره ، وقِرانه مع اسمه اسمَه ﷺ .

قال قتادة : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيبٌ ولا متشهدٌ (ولا مؤذن) ولا صاحب صلاة إلا يقول : « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » . (ذكره السيوطي رحمه الله في الدر المنثور ٣٦٣/٦) .

روى أبوسعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال : « أتاني جبريل عليه السلام فقال : إن ربي وربك يقول : تدري كيف رفعتُ ذكرك ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال إذا ذُكرتُ ذكرتَ معي » . (الدر المنثور للسيوطي : ٣٦٣/٦) .

وقال أيضاً : « جعلتكَ ذِكراً من ذِكري ، فمن ذكرك ذكرني » .

وقال جعفر بن محمد الصادق : لا يذكُرُكَ أحدٌ بالرسالة إلا ذكرني بالربوبية .

ومن ذِكره ﷺ معه تعالى أن قرن طاعته بطاعته ، واسمه باسمه ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ ﴾ (آل عمران :٣٢) ، ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (الحديد : ٧) فجمع بينهما بواو العطف المُشرِكة ، ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه ﷺ. الخ ما ذكره القاضي عياض رحمه الله في الشفا .



هـو رحمـة للعالمـين ﷺ

قال رب العـزة والجـلال : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) .

قال ابن كثير رحمه الله : ٣/٢٠٢ : يخبر تعالى أن الله جعل محمدا ﷺ رحمة للعالمين ، أي أرسله رحمة لهم كلهم ، فمن قبل الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ، ومن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة كما قال تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ ﴾(سورة إبراهيم : ٢٨) انتهى .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال : « إنما أنا رحمة مُهْداة » . (رواه الدارمي عن أبي صالح في كتاب المقدمة : برقم : ١٥ . وأورده البيهقي في شعب الإيمان كما في المشكاة باب أسماء النبي ﷺ وصفاته) .

قال القارئ رحمه الله في المرقاة ١١/٨٥ : أي ما أنا إلا رحمة للعالمين ، أهداها الله إليهم ، فمن قبل هديه أفلح وظفر ، ومن لم يقبل خاب وخسر كقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ (الأنبياء : ١٠٧)انتهى

وذكر القاضي في الشفا : ١٦/١: قال أبو بكر محمد ابن طاهر : زين الله تعالى محمداً ﷺ بزينة الرحمة ، فكان كونه رحمةً وجميع شمائله وصفاته رحمةً على الخلق ؛ فمن أصابه شيء من رحمته ﷺ فهو الناجي في الدارين من كل مكروه ، والواصل فيهما إلى كل محبوب ؛ ألا ترى أن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ فكانت حياته رحمةً ، ومماته رحمة كما قال ﷺ : « حياتي خير لكم وموتي خير لكم.. » الحديث ...

ثم ذكر القاضي رحمه الله حيث قال : وقال السمرقندي : ﴿ رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ يعني للجن والإنس ، قيل : لجميع الخلق : للمؤمنين رحمة بالهداية ، ورحمة للمنافق بالأمان من القتل ، ورحمةً للكافر بتأخير العذاب .

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا « هو رحمة للمؤمنين والكافرين إذ عُوفوا مما أصاب غيرَهم من الأمم المكذِّبة ».

وحكي أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام : « هل أصابك من هذه الرحمة شيء ؟ » قال : نعم ، كنتُ أخشى العاقبة ، فأمنتُ لثناء الله عز وجل عليَّ بقوله : ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

انتهى قول القاضي رحمه الله .

قوله ﷺ : « حياتي خير لكم وموتي خير لكم » كما تقدم : قال أبو طلحة : هذا طرف من الحديث الذي ذكره السخاوي رحمه الله في « القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ﷺ » ص ٣٢٤ حيث قال :

« وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « حياتي خير لكم تحدِثون ويُحدَث لكم ، فإذا أنا متَ كانت وفاتي خيراً لكم ، تعرض عليَّ أعمالكم ، فإن رأيت خيراً حمِدتُ الله ، وإن رأيت غير ذلك استغفرتُ الله لكم » أخرجه الحارث في مسنده .

وفي هامش « القول البديع » ص ٣٢٤ : ذكر الشيخ محمد عوامة حفظه الله حيث قال :

« هـذا هو المعروف في ضبط هاتين الكلمتين :- أي تحدِثون ويُحدَث لكم - والمعنى : تحصل أمور وأمور ، منها ما يقع منكم ، ومنها ما يقع من غيركم فتتبعونه ، فتقعون في المخالفات الشرعية ... وضَبطنا في (ب) : « تحدِّثون ويُحدَّث لكم » وهو غريب .

والحديث عزاه العراقي في « تخريج الإحياء » ١٤٨:٤ إلى الحارث في «مسنده » كما هنا ، وضعّفه ، قلت : راويه عن أنس رضي الله عنه هو : خراش بن عبدالله أحدُ من ادعى

التعمير ، وهو ساقط عدَمَ ! فمثله لا يقتصر على كلمة : ضعيف ، في حديث يُروى من طريقه .

ثم إني لم أر الحديث في « بغية الباحث » بهذا اللفظ عن أنس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ لكن رواه ابن عدي في « الكامل » ٣:٩٤٥ ، في ترجمة خراش بنحوه .

نعم الحديث من حيث هو صحيح ، رواه البزار من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإسناد جيد، كما قاله في « طرح التثريب » ٣:٢٩٧ ومقتضى كلامه في « تخريج الاحياء » أنه لا ينزل عن رتبة الحسن . يضاف إلى هذا رواية ابن سعد له في « الطبقات » ٢:١٩٤ ، والقاضي إسماعيل في « جزئه » (٢٥ ، ٢٦) عن بكر بن عبدالله المزني مرسلاً بأسانيد صحيحه ، أما إسناد الحارث بن أبي أسامة (٩٥٣) فضعيف .

ولشيخنا عبدالله الصديق الغُماري رحمه الله جزء فيه سماه « نهاية الآمال في شرح وصحة حديث عرض الأعمال » مطبوع . انتهى كلام الشيخ محمد عوامه في تعليقه على « القول البديع » ص ٣٢٤ للسخاوي رحمه الله (الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م) .



وهو بالمؤمنين رؤف رحيم ﷺ

قال رب العزة والجلال : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (التوبة : ١٢٨) .

قال القرطبي في تفسيره : ١٩٢/٨ : (الرؤف : المبالغ في الرأفة والشفقة .

وقال الحسين بن الفضل : لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي محمد ﷺ ، فإنه قال: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحج : ٦٥) .

وقال عبد العزيز بن يحيى : نظم الآية لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز حريص بالمؤمنين رءوف رحيم ، عزيز عليه ما عنتم لا يهمه إلا شأنكم ، وهو القائم بالشفاعة لكم فلا تهتموا بما عنتم ما أقمتم على سنته ؛ فانه لا يرضيه إلا دخولكم الجنة) .

انتهى قول القرطبي رحمه الله .



الرسول ﷺ هو الأمان الأعظم وقد رُفع العذابُ بسببه ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأنفال : ٣٣) .

ذكر القاضي في الشفا ١/٤٦-٤٧ حيث قال : قال الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ ﴾ أي ما كنتَ بمكة ، فلما خرج النبي ﷺ من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ .. فلمّا هاجر المؤمنون نزلت ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (الأنفال : ٣٤) .

وهذا من أبيَن ما يظهر مكانته ﷺ ودرأتهُ العذابَ عن أهل مكة بسبب كونه ، ثمّ كون أصحابه بعده بين أظهرهم ، فلمّا خلتْ مكة منهم عذّبهم الله بتسليط المؤمنين عليهم ، وغلبتهم إيّاهم ، وحَكَّم فيهم سيوفهم ، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم ، وفي الآية أيضاً تأويل آخر .

ثم ذكر القاضي الحديث بسنده .. عن أبي بُردة ابن أبي موسى عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أنزل الله عليَ أمانين لأمتي : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ

وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ فـــــإذا مضيتُ تركتُ فيكم الإستغفار» . (ينظر سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن رقم الحديث : ٣٠٠٧)

ونحو منه قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال ﷺ : « أنا أمان لأصحابي» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قيل من البدع وقيل : من الإختلاف والفتن .

قال بعضهم : الرسول ﷺ **هو الأمان الأعظم** ما عاش ، وما دامت سنته باقية فهو باق ، فإذا أميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن. انتهى ما ذكره القاضي

♥ قال أبو طلحة : **وما أعظم شأن الاستغفار** ومكانته عند العزيز الغفار : فإنه كما أن وجود المصطفى ﷺ على وجه الأرض في حياته ﷺ كان دفعاً للعذاب عن الناس .

فكذلك الاستغفار يدفع عذاب الله عن العباد مادام أنهم يستغفرونه سبحانه ، قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأنفال : ٣٣) . انتهى .



تكفل المولى بحفظه ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾ (سورة الطور : ٤٨) **وفي أحكام القرآن** للقرطبي ١٧/٥٣ : (أي بمرأى ومنظر منا نرى ونسمع ما تقول وتفعل . وقيل : بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونحرسك ونرعاك . والمعنى واحد . ومنه قوله تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ (أي بحفظي وحراستي) انتهى قول القرطبي رحمه الله .

جعله الله سراجا منيرا وشاهداً ومبشراً ونذيراً ﷺ

نادى المولى نبيه ﷺ فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ ﴾ (الأحزاب : ٤٥-٤٦) .

قال القاضي في الشفا : ١/٢٣-٢٤ : جمع الله تعالى له ﷺ في هذه الآية ضروباً من رُتب الأثَرة ، وجملة أوصافٍ من المِدحة ؛ فجعله شاهداً على أمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة ، وهي من خصائصه ﷺ ، ومبشراً لأهل طاعته ونذيراً لأهل معصيته ، وداعياً إلى توحيده وعبادته ، وسراجاً منيراً يهتدى به للحق . انتهى .

كونه ﷺ منة يمتن الله به على عباده

قال رب العزة والجلال : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (آل عمران : ١٦٤) .

وفي أحكام القرآن للقرطبي رحمه الله : ١٦٩/٤ : (بيّن الله تعالى عظيم منته عليهم ببعثه محمدا ﷺ . ولهم فيه نسب إلا بني تغلب فإنهم كانوا نصارى فطهّره الله من دنس النصرانية .

وبيان هذا التأويل قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ (الجمعة : ٢) .وخص المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون به ، فالمنة عليهم أعظم) . انتهى .

وذكر السخاوي رحمه الله في « القول البديع» ص ٨٤ حيث قال : «.. وشكره ﷺ واجب علينا ، لما عظم منه من الإنعام ، فإنه سبب نجاتنا من الجحيم ، ودخولنا في دار النعيم ، وإدراكنا الفوزَ بأيسر الأسباب ونيلنا السعادة من كل الأبواب ، ووصولنا إلى المراتب السَّنِيّة والمناقب العليّة بلا حجاب ، و﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (آل عمران : ١٦٤) . انتهى .

قال أبو طلحة : **و هناك منة أخرى عظيمة** امتن الله بها على عباده المؤمنين خاصة فهو كما أن من عظيم منته سبحانه على عباده ببعثه محمداً ﷺ منهم .

فكذلك من عظيم منته سبحانه على عباده ما امتن الله بها عليهم : أن هداهم للإيمان بسبب هذا النبي الكريم ﷺ .

قال تعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الحجرات : ١٧). اهـ .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : ٤/٢٢٠ : « ... ثم قال تعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ﴾ يعني الأعراب الذين يمنون بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على الرسول ﷺ ، يقول الله تعالى رداً عليهم : ﴿ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ﴾ فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم ولله المنة عليكم فيه . ﴿ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي في دعواكم ذلك .

كما قال النبي ﷺ للأنصار يوم حنين : « يا معشر الأنصار! ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي ؟» كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله آمن) . انتهى .

نطـقه وكلامه ﷺ وحــي

قال تعالى بعد أن أقسم له ﷺ بالنجوم إذا غابـت :
﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم : ٤) .

ذكر القاضي في الشفا : ٣٧/١ : قال تعالى : ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ۝١٨ ﴾ (أي من ١ إلى ١٨ آيات من سورة النجم) .

ثم قال القاضي : (.. تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العِدّ ما يقف دونه العَدُ ، وأقسم جل اسمه على هداية المصطفى ﷺ ، وتنزيهه عن الهوى ، وصدقه فيما تلا ، وأنه وحي يوحى ، أوصله إليه ﷺ عن الله جبريل ، وهو الشديد القوى ، ثم أخبر عن فضيلته بقصة الإسراء وإنتهائه إلى سدرة المنتهى ، وتصديق بصره فيما رآى من آيات ربه الكبرى . . .) .

وذكر في ٣٨/١ أيضاً حيث قال(.. اشتملت هذه الآيات على إعلام الله تعالى بتزكية جملته ﷺ وعصمتها من الآفات في هذا المَسرى ، **فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه فقلبه** بقوله تعالى ﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ **ولسانه** بقوله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾ . **وبصره** بقوله : ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ . انتهى قوله رحمه الله .

كلام النبي صلى الله عليه وسلم
وما أدراك ما كلام النبي ﷺ ؟

ذكر القرطبي في أحكام القرآن ٦/٢٠٢ حيث قال : (وقال القاضي أبو بكر بن العربي : حرمة النبي ﷺ ميتا كحرمته حيا ، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثال كلامه المسموع من لفظه ، فإذا قرئ كلامه ، وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ، ولا يعرض عنه ، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به. وقد نبه الله سبحانه على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ (الأعراف: ٢٠٤). وكلامه صلى الله عليه وسلم من الوحي ، وله من الحكمة مثل ما للقرآن ، إلا معاني مستثناة، بيانها في كتب الفقه).

انتهى كلام القرطبي رحمه الله .

نُطق النبي ﷺ وما أدراك ما نطق النبي ﷺ وقدر كلامه ﷺ وأقواله وعظمتها عند أهل العلم والفضل ؟ وإليك قصة غريبة حول هذا الموضوع لسهل بن عبدالله التستري – رحمه الله – الذي قبّل لسان أبي داود الذي كان ينطق به أقواله ﷺ ويحدث به أحاديثه ﷺ .

والقصة هي : قال القاضي الخليل بن أحمد السجزي : (سمعت أحمد بن محمد بن الليث قاضي بلدنا يقول :

جاء سهل بن عبدالله التستري إلى أبي داود السجستاني ، فقيل : يا أبا داود : هذا سهل بن عبدالله جاءك زائراً، فرحّب به وأجلسه ، فقال سهل: يا أبا داود ! لي إليك حاجة . قال : وما هي ؟ قال : حتى تقول : قد قضيتها مع الإمكان ، قال : نعم ، قال : أخرج إليّ لسانك الذي تحدّث به أحاديث رسول الله ﷺ حتى أقبّله . فأخرج إليه لسانه فقبّله) ذكره الإمام الذهبي في « سير أعلام النبلاء ١٣/٢٠٣) .

قال أبو طلحة : هذا هو حال حب سهل بن عبدالله مع نطق المصطفى وأحاديثه ﷺ وراويها حتى وصل إلى باب أبي داود - رحمه الله - لحاجة قضاها ، والله أعلم بحال حبه مع المصطفى ﷺ .

وإليك قصة أخرى عجيبة ما يتعلق بسهل بن عبد الله رحمه الله ، وقد ذكرها القرطبي ١٩/٩٦ في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (الإنسان : ٢١) حيث قال : (**قال** طيّب الجمال : صليت خلف سهل ابن عبد الله العتمة - أي صلاة العشاء - فقرأ : ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (الإنسان : ٢١) وجعل يحرك شفتيه وفمه ، كأنه يمص شيئا ، فلما فرغ قيل له : أتشرب أم تقرأ ؟ فقال : والله لو لم أجد لذته عند قراءته كلذته عند شربه ما قرأته). انتهى .

أخذ الله له ﷺ العهد على جميع الأنبياء وشهد له بذلك معهم عليهم السلام

قال رب العزة والجلال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (آل عمران : ٨١)

قال العلماء : يظهر بوضوح من هذه الآية الكريمة : عظيم قدره وشريف منزلته ﷺ على الأنبياء ، وحظوة رتبته عليهم ـ على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ـ .

ذكر القاضي عياض في الشفا ١/٤٣ـ٤٤ : قال أبو الحسن القابسي رحمه الله : اختصّ الله تعالى محمداً ﷺ بفضل لم يؤته غيره أبانه به ، وهو ما ذكره في هذه الآية.

قال المفسرون : أخذ الله الميثاق بالوحي ، فلم يبعث نبياً إلا ذكر له محمداً ونعته ﷺ ، وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به ﷺ . انتهى .

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ ﴾ قال القرطبي في تفسيره : ٤/٨٠ : (الرسول هنا محمد ﷺ في قول عليّ وابن عباس رضي الله عنهم ... فأخذ الله ميثاق النبيين أجمعين أن

يؤمنوا بمحمد عليه الصلاة السلام وينصروه إن أدركوه ، وأمرهم أن يأخذوا بذلك الميثاق (العهد) على أممهم) انتهى .

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : ٣٧٨/١ : (يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام لَمَهْما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة وبلغ أيَّ مبلغ ، ثم جاء رسول من بعده ، ليؤمننَّ به ولينصرنه ، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته .

ولهذا قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ أي لَمَهْما أعطيتكم من كتاب وحكمة ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ ﴾ يعني عهدي قاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره .

وقال محمد بن إسحاق : ﴿ إِصْرِى ۖ ﴾ أي ثقل ما حملتم من عهدي أي ميثاقي الشديد المؤكد .

﴿ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾). انتهى بحذف واختصار .



الأمر بطاعته صلى الله عليه وآله سلم وجُعلتْ طاعته ﷺ عين طاعة الله

قال رب العزة والجلال : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ . (النور :٥٦) **وقال تعالى** : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (النساء : ٨٠) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾ (النور : ٥٤)

وذكر القاضي عياض في الشفا : ٢٢/١ : وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال : من فضيلتكَ عند الله أن جعل طاعتك طاعته فقد قال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (النساء : ٨٠) . وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ . انتهى .

كونه ﷺ حبيبا لله تعالى وجعل اتباعه ﷺ موجبا لمحبته

قال رب العزة والجلال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران : ٣١) .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : ٣٥٩/١: « هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر

حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» . ولهذا قال ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول كما قال بعض العلماء الحكماء : ليس الشأن أن تحِبَّ ، إنما الشأن أن تـُحـبَّ) . انتهى قول ابن كثير .

يا مَن دعواه الحبّ

أبرأ إلى كُلّ حبٍّ من محبّته
وثقْ بِحُبِّ رسول الله واتّكلِ
هو الذي حُبُّه فوزٌ ومكرمةٌ
وحُبُّه آية الإيمانِ فاكتمل
وحُبُّه العروةُ الوُثقى لا انفصام لها
ولا انفصامٍ لحبلٍ منه متّصل
يا حبّذا حُبُّه أنسٌ لمنفردٍ
ذُخرٌ لمُدّخرٍ زاد لمنتقلِ
المرءُ مع من أحبَّ أشكُر لقائله
وذاك وعدٌ بِلا خُلفٍ ولا خطَلِ
شُغلُ الصّلاة عليه والسلام كفى
فبارك الله لي في ذلك الشّغل
يا رب صل وسلم دائما أبدا
على نبيك طه سيد الرسل



يا بشرى ! هذا مرام !

وهو أن لا يخلو قلب المسلم والمسلمة من محبة الله ومحبة رسوله ﷺ ، وقد بشر المصطفى ﷺ لمن أحبه فقال : « أنت مع من أحببت» الحديث .

روى البخاري عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : بَيْنَمَا أَنَا وَالنَّبِيُّ ﷺ خَارِجَانِ مِنَ الْمَسْجِدِ فَلَقِيَنَا رَجُلٌ عِنْدَ سُدَّةِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟ فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ ، ثُمَّ قَالَ : يَارَسُولَ اللَّهِ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ ، قَالَ : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» .(صحيح البخاري كتاب الأحكام رقم : ٦٦٢٠)

وفي رواية لمسلم : قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه : فَمَا فَرِحْنَا بَعْدَ الإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : « فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» . قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه : فَأَنَا أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ . (صحيح مسلم رقم : ٣٧٧٧ كتاب الصلة والبر والآداب)



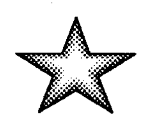
قال القرطبي في تفسيره : ٢٤٢/١٠ : بعد ذكر هذه الأحاديث : قلت (القرطبي) : وهذا الذي تمسك به أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشمل من المسلمين كل ذي نفس ، فكذلك تعلقت أطماعنا بذلك وإن كنا مقصرين ، ورجونا رحمة الرحمن وإن كنا غير مستأهلين ؛ كلب أحب قوما (أي أصحاب الكهف) فذكره الله معهم ، فكيف بنا وعندنا عقد الإيمان وكلمة الإسلام ، وحب النبي ﷺ ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الإسراء: ٧) . انتهى ما ذكره القرطبي رحمه الله .

بشرى أخرى ، أحلى وأسلى

وهذه بشرى تسلية لمثلنا المقصرين الغافلين لأنها تشمل من المسلمين كل ذي نفس ، ورجونا رحمة أرحم الراحمين وإن كنا غير مستأهلين ؛ وقد ذكرها ملا علي القارئ في المرقاة شرح المشكاة : ٧٣/١ وذكرها القرطبي في تفسيره أيضا **حيث قال** : وكل من صح إيمانه به عليه الصلاة والسلام لا يخلوا عن وجدان شيئ من تلك المحبة الراجحة ، وإن استغرق بالشهوات ، وحجب بالغفلات في أكثر الأوقات بدليل : إنا نرى أكثرهم إذا ذكر ﷺ اشتاق إلى رؤيته

وآثرها على أهله وماله وولده ووالده ، وأوقع نفسه في المهالك والمخاوف مع وَجدانه من نفسه الطمأنينة بذلك وجدانا لا تردد فيه وشاهد ذلك في الخارج إيثار كثيرين لزيارة قبره الشريف ورؤية مواضع آثاره ﷺ على جميع ما ذكر لما وقر في قلوبهم من محبته ﷺ غير أن قلوبهم لما توالت غفلاتها وكثرت شهواتها كانت في أكثر أوقاتها مشتغلة بلهوها ذاهلة عما ينفعها ، ومع ذلك هم في بركة ذلك النوع من المحبة فيرجى لهم كل خير إن شاء الله تعالى ، ولا شك أن حظ الصحابة رضي الله عنهم من هذا المعنى أتم لأنه ثمرة المعرفة وهم بقدره ومنزلته أعلم .

انتهى قول القرطبي رحمه الله .



أقسم الله تعالى بحياته ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (الحجر : ٧٢) .

وفي أحكام القرآن للقرطبي : ٢٧/١٠ : (قال القاضي أبو بكر ابن العربي : قال المفسرون بأجمعهم : أقسم الله تعالى هاهنا بحياة محمد ﷺ تشريفا له ، أن قومه من قريش في سكرتهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون .

قلت (القرطبي) : وهكذا قال القاضي عياض : أجمع أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد ﷺ .. ومعناه : وبقائك يا محمد . وقيل وحياتك . **وهذا نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف** .

قال أبو الجوزاء : ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد ﷺ ؛ لأنه أكرم البرية عنده .

قال ابن العربي : « ما الذي يمنع أن يقسم الله سبحانه وتعالى بحياة لوط ويبلغ به من التشريف ما شاء ، وكل ما يعطيه الله تعالى للوط عليه السلام من فضل يؤتي ضعفيه من شرف لمحمد ﷺ ؛ لأنه أكرم على الله منه ؛ أوَ لا ترى أنه سبحانه أعطى إبراهيم الخلة ، وموسى التكليم ، وأعطى ذلك لمحمد ، فإذا أقسم بحياة لوط عليه السلام فحياة محمد ﷺ أرفع . . .

ثـم قــال القــرطبي : فـإن قيـل : فقـد أقسـم تعـالى بالتين والزيتون وطور سينين ، فمــا في هــذا ؟

قيــــل لـــــه : مـا مـن شـيء أقسـم الله بـه إلا وذلـك دلالة على فضله علـى مـا يـدخل في عـداده ، فكـذلك نـبينـا ﷺ يجب أن يكون أفضل ممن هو في عداده. اهـ

وذكر القاضي في الشفا : ١/ ٣٠-٣١ : اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلالـه بمـدة حيـاة محمـد ﷺ وهذه نهاية التعظيم وغاية البرّ والتشريف .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : مـا خلـق الله تعـالى ، ومـا ذرأ ومـا بـرأ نفسـاً أكـرم عليـه مـن محمـد ﷺ . انتـهى .



أقسم الله تعالى له ﷺ لتحقق مكانته ﷺ عنده

قال رب العزة والجلال : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ ﴾ (الضحى : ١-٥) ،

قال القاضي في الشفا : ١/٣٥-٣٦ : اختلف في سبب نزول هذه السورة ، فقيل : كان ترك النبي ﷺ قيام الليل لعذر نزل به ، فتكلمت امرأة في ذلك بكلام . وقيل: بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة .

قال الفقيه القاضي : تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له ، وتنويهه به وتعظيمه ستة وجوه : الأول : القسم له ﷺ عما أخبره به من حاله بقوله تعالى ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ أي ورب الضحى .

وهذا من أعظم درجات المبرَّة ، الثاني : بيان مكانته عنده وحظوته ﷺ لديه بقوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ أي ما تركك وما أبغضك ، وقيل : ما أهملك بعد أن اصطفاك . الخ ما ذكره القاضي عياض.

وفي أحكام القرآن للقرطبي ٢٠/٦٢ : قال قتادة وجعفر الصادق : أقسم بالضحى الذي كلم الله فيه موسى، وبليلة المعراج . فقال ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ انتهى .

وذكـــر القـرطبي ٦٥/٢٠ في تفســـير قولـه تعـالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ : قـــال علـــي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأهـــل العــــــراق : إنكـم تقـــولون: إن أرجـى آيــة في كتـــــاب اللّـه تعـالى: ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ (الزمـر:٥٣) ؟ قـالوا : إنـا نقـول ذلـك . قـال: ولكنا أهل البيت نقول : إن أرجى آيـــة في كتـاب اللّـه قولـه تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ . انتهى .

(قال أبوطلحة : هذا الحديث قد ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٦١/٦) أيضا .

وأخرج البيهقي في شعب الإيمـان .. عـن ابـن عبـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ قال : رضـاه أن تـدخل أمتـه الجنـة كلهم . (الدر المنثور ٣٦١/٦) .

وفي رواية عن ابن عبـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قولـه : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ قال : لا يـرضى محمد وواحد من أمتـه في النـار . (الدر المنثور ٣٦١/٦) .

قال أبو طلحة : وهنـاك قسم آخـر ، أقسـم الله تعـالى لـه ﷺ بالنجم وقال : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ (النجم : ١) .

فعن ابـن عبـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قولـه : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ قــال : أقسم الله أنـــه مـا ضـــل محمـد ـ ﷺ ـ ومـا غـوى . (الـدر المنـــثور : ١٢٢/٦) .

فبعد هذا القســـم قـال تعــــالى شـــهادة للرســـول ﷺ : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ (النجم : ٢).

قال ابن كثير ٢٤٧/٤ في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ (النجم : ٢) : (هذا هو المقسم عليه وهو الشهادة للرسول ﷺ بأنه راشد تابع للحق ليس بضال بل هو صلاة الله وسلامه عليه وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد) . انتهى قول ابن كثير رحمه الله تعالى .

قلت : وما هذا القسم الذي أقسم الله به إلا لتحقق عظمته ورفعة مكانته ﷺ عنده سبحانه أيضاً ، والقسم الذي أقسم الله بالنجوم وبمواقع النجوم إذا غابت إنه لقسم عظيم قال تعالى : ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ (الواقعة : ٧٦) .

قال ابن كثير في تفسيره : ٢٩٩/٤ : وقوله : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ أي أن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم ، لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ أي أن هذا القرآن الذي نزل على محمد ﷺ لكتاب عظيم . انتهى .



جعلت مبايعته ﷺ عين مبايعة الله سبحانه

قال رب العزة والجلال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الفتح :١٠) .

وفي أحكام القرآن للقرطبي رحمه الله : ١٦/١٧٧: بيّن أن بيعتهم لنبيه ﷺ إنما هي بيعة الله ، كما قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (النساء: ٨٠) .

وقال ابن كثير في تفسيره : ٤/١٨٦ : (ثم قال عز وجل لرسوله ﷺ تشريفاً له وتعظيماً وتكريماً ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ كقوله جل وعلا : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ .

﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسول الله ﷺ كقوله تعالى :

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ (التوبة :١١١) . انتهى .

جعل الله رضاه ﷺ في رضاه سبحانه

قال رب العزة والجلال : ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ . (التوبة : ٦٢)

قال القرطبي في تفسيره : ١٢٣/٨ : (قلت: وقيل إن الله سبحانه جعل رضاه في رضاه ، ألا ترى أنه قال : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (النساء ٨٠) .

وكان الربيع بن خثيم إذا مر بهذه الآية وقف ، ثم يقول : حرف وأيما حرف فوض إليه فلا يأمرنا إلا بخير . انتهى قول القرطبي رحمه الله .

أحب الله سبحانه ما أحب حبيبه ﷺ

قال رب العزة والجلال : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ (البقرة : ١٤٤) .

ومعنى ﴿ تَرْضَىٰهَا ﴾ أي تحبها . قاله القرطبي رحمه الله .



تكـريمــه صلى الله عــليه وسـلم بالإسراء وبمرتـبة العبوديـة العليا

قــال تعــالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ (الإسراء : ١) .

تكريمه ﷺ بالمعراج والقرب الخاص

قال رب العزة والجلال : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ (النجم :٨-١٠)

أعــطي المـقام المحمـود والكوثر

قال رب العزة والجلال:﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (الإســراء : ٧٩) .

قال الله تعالى ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ (الكوثر: ١).

ذكــر القــرطبي في تفسـيره : « أنــه نهــر في الجنــة» رواه البخاري في كتاب التفسير رقم : ٤٥٨٤ ..

وروى الترمذي أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قـال رسـول الله ﷺ : «الكـوثـر: نهـر في الجنـة ، حافتـاه مـن ذهـب ، ومجـراه علـى الـدر واليـاقوت ، تربتـه أطيـب مـن المســك ، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج» . هذا حديث حسن صحيح (الترمذي : كتاب التفسير رقم : ٣٢٨٤) .

ثم ذكر القرطبي وقال : إنه حوض النبي ﷺ في الموقف قاله عطاء. وذكر في ذلك رواية عن مسلم .

ثم ذكر بعده بقليل وقال : وسمع أنس رضي الله عنه قوما يتذاكرون الحوض فقال : ما كنت أرى أن أعيش حتى أرى أمثالكم يتمارون في الحوض ، لقد تركت عجائز خلفي ، ما تصلي امرأة منهن إلا سألت الله أن يسقيها من حوض النبي ﷺ . وفي حوضه يقول الشاعر:

يا صاحب الحوض من يدانيكا
وأنت حقا حبيب باريكا
صلوات الله وسلامه عليه

وجميع ما قيل بعد ذلك في تفسيره قد أعطيه رسول الله ﷺ زيادة على حوضه ، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا. انتهى ما ذكره القرطبي .

قرن الله الإيمان به سبحانه بالإيمان به صلى الله عليه وسلم

قال رب العزة والجلال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (النساء : ١٣٦)

وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الحديد : ٢٨) .

انشق القمر فرقتين بدعائه ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ ﴾ (القمر : ١-٢)

روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال : إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آية ، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما . (متفق عليه كما في المشكاة رقم الحديث ٥٨٥٤ باب علامات النبوة) . (البخاري كتاب المناقب رقم : ٣٥٧٩) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين : فرقة فوق الجبل ، وفرقة دونه ، فقال رسول الله ﷺ : «اشهدوا». (متفق عليه كما في المشكاة رقم الحديث : ٥٨٥٥) . (صحيح البخاري كتاب التفسير رقم : ٤٥٨٦) .

قال القرطبي في تفسيره : ٨٣/١٧ : قلت : وقد ثبت بنقل الآحاد العدول أن القمر انشق بمكة ، وهو ظاهر التنزيل ، ولا يلزم أن يستوي الناس فيها ؛ لأنها كانت آية ليلية ؛ وأنها كانت باستدعاء النبي ﷺ من الله تعالى عند التحدي . اهـ

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ (هذا يدل على أنهم رأوا انشقاق القمر ...) قاله القرطبي رحمه الله .

التأسي بالنبي ﷺ في شمائله

قال رب العزة والجلال : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ . (الأحزاب : ٢١) .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : (هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ، ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ أي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ﷺ ولهذا قال تعالى : ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ثم قال تعالى مخبرا عن عباده المؤمنين المصدقين بوعود الله لهم وجعله العاقبة حاصلة لهم في الدنيا والآخرة. انتهى .



وجـوب محبــة الله سبحانه ومحبــة رسوله ﷺ على كل محبوب ومرغوب

قــال رب العــزة والجـلال : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (التوبة : ٢٤)

وفي أحكام القرآن للقرطبي : ٦٢/٨: وفي الآية دليل على وجوب حـب الله ورسـوله ﷺ ، ولا خـلاف في ذلـك بين الأمة ، وأن ذلك مقدم على كل محبـوب . انتهى قـول القرطبي رحمه الله .

وقال ابن كثير في تفسيره : ٣٤٣/٢ : ثـم أمـر تعالى رسوله ﷺ أن يتوعد مـن آثـر أهلـه وقرابتـه وعشـيرته علـى الله ورسـوله ﷺ وجهـاد في سبيـله فقـال : ﴿ وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ ﴾ أي تحبونهـا لطيبهـا وحسـنها، أي إن كانـت هـذه الأشـياء ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾ أي فـانتظروا مـاذا يحل بكـم مـن عقابـه ونكالـــه بكـم . ولهـــذا قـــال : ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ انتهى .

النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم

قال رب العزة والجلال: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (الأحزاب :٦) .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : ٤٦٨/٣: قد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته ونصحه لهم فجعله أولى بهم من أنفسهم ، وحكمه فيهم كان مقدما على اختيارهم لأنفسهم كما قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (النساء : ٦٥) .

وفي الصحيح «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين» . (صحيح البخاري رقم : ١٣) .انتهى .

وفي أحكام القرآن للقرطبي : ٨٢/١٤ : قال ابن عطية : وقال بعض العلماء العارفين : هو أولى بهم من أنفسهم ؛ لأن أنفسهم تدعوهم إلى الهلاك ، وهو ﷺ يدعوهم إلى النجاة . **قال ابن عطية** : ويؤيد هذا قوله عليه الصلاة والسلام : « أنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها تقحم الفراش».

قلت ـ القرطبي ـ : هذا قول حسن في معنى الآية وتفسيرها ، والحديث الذي ذكر أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيها» (رواه مسلم في صحيحه برقم : ٤٢٣٦) .

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثله ؛ وقال : « وأنتم تفلّتون من يدي» .

قال العلماء : الحجزة للسراويل ، والمعقد للإزار؛ فإذا أراد الرجل إمساك من يخاف سقوطه أخذ بذلك الموضع منه .

وهذا مثل لإجتهاد نبينا عليه الصلاة والسلام في نجاتنا ، وحرصه على تخلصنا من الهلكات التي بين أيدينا ؛ فهو أولى بنا من أنفسنا ؛ ولجهلنا بقدر ذلك وغلبة شهواتنا علينا وظفر عدونا اللعين بنا ، صرنا أحقر من الفراش وأذل من الفراش ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) انتهى قول القرطبي رحمه الله .

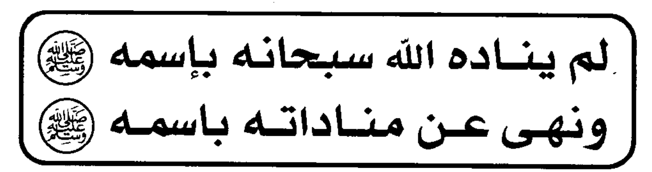


أقسم الله تعالى لحكمه ﷺ بأنه الحق ويجب الإنقياد له ﷺ ظاهراً وباطناً

قال أحكم الحاكمين : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (النساء :٦٥) .

قال ابن كثير: ٥٢١/١ : (وقوله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور ، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً ولهذا قال : ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم ، فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به ، وينقادون له في الظاهر والباطن ، فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة كما ورد في الحديث «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به») انتهى.

وفي الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «فكل من خرج من سنة رسول الله ﷺ وشريعته ، فقد أقسم الله بنفسه المقدسة أنه لا يؤمن حتى يرضى بحكم رسول الله ﷺ في جميع ما يشجر بينهم من أمور الدين والدنيا ، وحتى لا يبقى في قلوبهم حرج من حكمه . ودلائل القرآن على هذا الأصل كثير» . انتهى .



لم يناده الله سبحانه بإسمه ﷺ ونهى عن مناداته باسمه ﷺ

قال تعالى ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ (النور : ٦٣) .

قال القاضي عياض في الشفا ٣١/١ : ومما ذكر من خصائصه وبرِّ الله تعالى به أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم ، فقال : يا آدم ، يا نوح ، يا إبراهيم ، يا موسى ، يا داود ، يا عيسى ، يا زكريا ، يا يحيى ، ولم يخاطَب هو إلا : يا أيها الرسول ، يا أيها النبي ، يا أيها المزمل ، يا أيها المدثر . (صلوات الله وسلامه عليه) انتهى

وقال ابن كثير في تفسيره : ٣٠٧/٣: قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا يقولون : يا محمد ، يا أبا القاسم ، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظاما لنبيه ﷺ قال: فقولوا يا نبي الله يا رسول الله وقال قتادة : أمر الله أن يهاب نبيه ﷺ وأن يبجل وأن يعظم وأن يُسود .

وقال مقاتل في قوله : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ يقول : لا تسموه إذا دعوتموه يا محمد ، ولا تقولوا : يا ابن عبدالله ، ولكن شرفوه ، فقولوا يا نبي الله ، يا رسول الله . انتهى .

وقال جلت قدرته : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الحجرات :٤) .

الأمـــر بتعظيمه وتوقيره ﷺ وخفض الصوت بحضـرته ﷺ

قـال الله تعـالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ (الفتح : ٨-٩).

وكان صوتـه ﷺ مكرم موقر معظم ومحترم عنده سبحانه ، فلذا نهى الله أن يرفع صوت فوق صوته ﷺ : فقـال رب العـزة والجـلال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ ﴾ (الحجرات ٢)

قال القـرطبي ٢٠٢/١٦ في تفسير الآية المذكورة : (معنى الآيـة : الأمـر بتعظيم رسول الله ﷺ وتـوقيره ، وخفـض الصوت بحضـرته وعنـد مخاطبتـه ، أي إذا نطق ونطقتم ، فعليكم ألاّ تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الـذي يبلغه بصوته ، وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه غالبا لكلامكم ، وجهره باهرا لجهركم ، حتـى تكون مزيتـه عليكم لائحـة ، وسـابقته واضـحة ، وامتيـازه عـن جمهوركم كشية الأبلق . لا أن تغمروا صوته بلغطكم ، وتبهروا منطقه بصخبكم ... وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره عليه السلام . وكره بعض العلماء رفع

الصوت في مجالس العلماء تشريفا لهم ، إذ هم ورثة الأنبياء. (عليهم السلام).

قال القاضي أبو بكر بن العربي : حرمة النبي ﷺ ميتا كحرمته حيا ، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثال كلامه المسموع من لفظه ، فإذا قرئ كلامه ، وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ، ولا يعرض عنه ، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به. وقد نبه الله سبحانه على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

وكلامه ﷺ من الوحي ، وله من الحكمة مثل ما للقرآن ، إلا معاني مستثناة، بيانها في كتب الفقه الخ ما ذكره القرطبي رحمه الله .



فيما تضمنته سورة الفتح من كرامته صلى الله عليه وسلم

هكذا عنون القاضي في الشفا ٤٩/١ وقال: قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ عشر آيات من سورة الفتح .

تضمنت هذه الآيات من فضله ، والثناء عليه ، وكريم منزلته عند الله تعالى ، ونعمته لديه ما يقصُر الوصفُ عن الانتهاء إليه ، فابتدأ جل جلاله بإعلامه بما قضاه له من القضاء البيّن بظهوره وغلبته على عدوه ، وعلو كلمته وشريعته ، وأنه مغفور له غيرَ مؤاخَذ بما كان وما يكون . قال بعضهم : أراد غفران ما وقع وما لم يقع أي أنك مغفور لك .

قال مكي : جعل الله المنة سبباً للمغفرة ، وكل من عنده لا إله غيره منةٌ بعد منةٍ ، وفضلا بعد فضل ، ثم قال : ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ﴾ قيل : بخضوعِ مَن تكبَرَ لك ، وقيل : بفتح مكة والطائف ، وقيل : يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك ، فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له ، وفتح أهم البلاد عليه وأحبِّها له ، ورفعِ ذكره وهدايته الصراط المستقيمَ المبلِّغَ الجنة

والسعادة ونصره النصر العزيز ومِنّته على أمته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التي جعلها في قلوبهم ، وبشارتِهم بما لهم عند ربهم ، وفوزهم العظيم – كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ ﴾ (الفتح : ٤ ـ ٥) والعفو عنهم والستر لذنوبهم ، وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة ، ولعنِهم وبُعدِهم من رحمته وسوء منقلبهم .

ثم قال : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ فعدَّ محاسنه وخصائصه ﷺ من شهادته على أمته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم ، وقيل : شاهداً لهم بالتوحيد ، ومبشراً لأمته بالثواب ، وقيل : بالمغفرة ، ومنذراً عدوه بالعذاب ومُحذّراً من الضلالات ليؤمنَ بالله ثم به من سبقتْ له من الله الحسنى ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ أي يجلّونه ، وقيل : ينصرونه ، وقيل : يبالغون في تعظيمه ﷺ ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ أي يعظمونه قال بعضهم : ﴿ ويُعزّزوه﴾ بزاءين ، والأكثر والأظهر أن هذا في حق محمد ﷺ . ثم قال : ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ فهذا راجع إلى الله .

قال ابن عطاء جمع للنبي ﷺ في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهي من أعلام الإجابة والمغفرة ، وهي من أعلام المحبة وتمام النعمة ، وهي من أعلام الاختصاص والهداية ، وهي من أعلام الولاية، فالمغفرة تبرئة من العيوب ، وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة والهداية ، وهي الدعوة إلى المشاهدة :

وقال جعفر بن محمد : من تمام نعمته عليه ﷺ أن جعله حبيبه ، وأقسم بحياته ﷺ ، ونسخ به شرائع غيره ، وعرج به ﷺ إلى المحل الأعلى ، وحفظه في المعراج ، حتى ما زاغ البصر وما طغى ، وبعثه ﷺ إلى الأحمر والأسود ، وأحل له ولأمته ﷺ الغنائم ، وجعله شفيعاً مشفعا وسيد ولد آدم ﷺ ، وقرن ذكره بذكره، ورضاه برضاه ، وجعله أحد ركني التوحيد ، ثم قال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ يعني بيعة الرضوان أي إنما يبايعون الله ببيعتهم إياك ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ يريد عند البيعة .. وهذه استعارات وتأكيد لعقد بيعتهم إياه وعظم شأن المبايع ﷺ الخ ما ذكره القاضي رحمه الله .



من خالف طريقه ﷺ فما له إلا النار

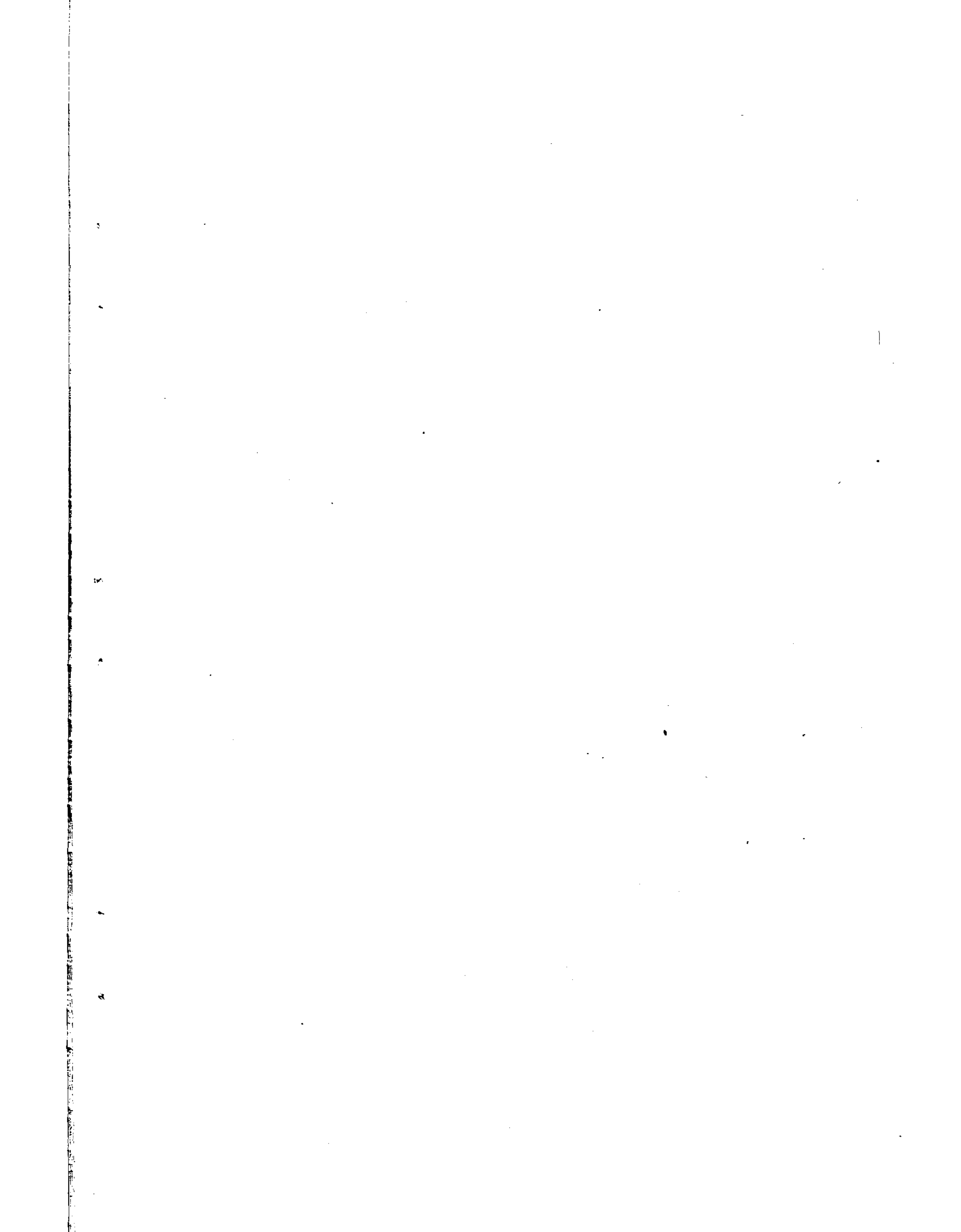
قال رب العزة والجلال : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ (النساء : ١١٥) .

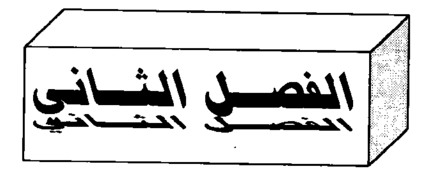
قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : ١/٥٥٥ : أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ فصار في شق والشرع في شق ، وذلك عن عمد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له ... لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿ ۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾ الآية ، وقال تعالى ﴿ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾ ﴾ انتهى .

هو خاتم النبيين عليهم الصلاة والسلام

قال رب العزة والجلال : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ ﴾ (الأحزاب: ٤٠) .

وبهذا أختم هذا الفصل الربيع ، وهو نبذ من ثناء الله تعالى على النبي ﷺ في القرآن الكريم وبيان فضائله وشمائله ورفعة مكانته صلى الله عليه وسلم عند الله سبحانه .





الفصل الثاني

النبي ﷺ يصف نسبه الشريف بنفسه الكريمة

قال القاضي في الشفا ٨١/١ : وأما شرَف نسبه وكرمُ بلده ومَنشَئه ﷺ فما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ولا بيان مُشكل ولا خفيّ منه ، فإنه ﷺ نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها ، وأشرف العرب ، وأعزهم نفراً من قِبل أبيه وأمه ومن أهل مكة من أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده .

ثم ذكر القاضي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بعثتُ من خير قرونِ بني آدم قرناً فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه» .

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم». قال الترمذي : هذا حديث صحيح .

وفي حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما رواه الطبري أنه ﷺ قال : «إن الله عز وجل أختار خلقه فاختار منهم بني آدم ، ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ، ثم

اختار العرب فاختار منهم قريشاً ، ثم اختار قريشاً فاختار منهم بني هاشم ، ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم ، فلم أزلَ خياراً من خيار ، ألا ! من أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم ».

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .. قال رسول الله ﷺ :

« فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم ، وجعلني في صلب نوح ، وقذف بي في صلب إبراهيم ، ثم لم يزلِ الله تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من أبويَ لم يلتقي على سفاح قط ».

ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس المشهور في مدح النبي ﷺ (انتهى ما ذكره القاضي في الشفا) .

قول القاضي : « ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس المشهور في مدح النبي ﷺ ».

قال أبو طحة : هذه الأشعار قد ذكرها ابن رجب الحنبلي وغيره ـ كما سيأتي ـ وذلك في حديث يرويه خريم بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كنا عند النبي ﷺ فقال له عمه العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يا رسول الله ! إني أريد أن أمتدحك ، فقال له النبي ﷺ : « قل لا يفض الله فاك» فأنشأ يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

من قبلها طبت في الظلال وفي   مستودع حيث يُخصف الورقُ

ثم هبت البلاد لا بشرٌ   أنت ولا مضغة ولا علقُ

بل نطفة تركب السفين وقد   ألجم نسراً وأهله الغرقُ

ينتقل من صالبٍ إلى رحم إذا مضى عالَم بدا طبقُ
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحته النطقُ
وأنت لما وُلدت أشرقت الأر ض فضاءت بنورها الأفقُ
فنحن في ذلك الضياء وفي النـ ـور وسبُلِ الرشاد نخترقُ

ينظر منح المدح ص ٨٤٢ ـ ٩٨١، أسد الغابة ٢ /١٣٠ ، ومجالس في سيرة النبي ﷺ لابن رجب ص ٤٣-٤٤ .

وعن العباس رضي الله عنه أنه جاء إلى النبي ﷺ فكأنه سمع شيئاً ـ أي من الطعن في حسبه ونسبه ـ فقام النبي ﷺ على المنبر ، فقال : «من أنا ؟» فقالوا : أنت رسول الله . فقال : «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ، ثم جعلهم فرقتين ـ أي عرباً وعجماً ـ فجعلني في خير فرقة ـ وهم العرب ـ ثم جعلهم قبائلَ فجعلني في خيرهم قبيلةً ـ يعني قرشيا ـ ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتاً ـ يعني بطن بني هاشم ـ فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً» . (رواه الترمذي وحسنه كما في المشكاة رقم ٥٧٥٧ ، باب فضائل سيد المرسلين ﷺ) .

قال في المرقاة ١١/٥٨ : (.. فأنا ـ أي النبي ﷺ ـ بفضل الله ولطفه على ما في سابقة الأزل خير الخلق نفساً حيث خلقني إنساناً رسولا ، خاتماً للرسل ، تمم دائرة الرسل بي ، وجعلني نقطة تلك الدائرة .. وخيرهم بطنا حيث نقلني من طيب إلى طيب إلى أن نقلني من صلب

عبد الله بالنكاح من أشرف القبائل والبطون ، فأنا أفضل خلق الله تعالى عليه وأكرمهم لديه) انتهى ما في المرقاة .

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إني عند الله مكتوب : خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل - الملقى على الأرض - في طينته ، وسأخبركم بأول أمري : دعوة إبراهيم ، وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاء لها منه قصور الشام» . (رواه في شرح السنة كما في المشكاة رقم الحديث ٥٧٥٩ قال الألباني : حديث صحيح) .

قوله : «وسأخبركم بأول أمري» قال في المرقاة ٥٩/١١ : (.. أي بأول ما ظهر من نبوتي ورفعتي في الدنيا على لسان أبي الملة إبراهيم عليه السلام .

وقوله : «دعوة إبراهيم» أي هو دعوة إبراهيم حين بنى الكعبة فقال : ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ (سورة البقرة : ١٢٩) .

فاستجاب الله دعاءه ، وكذا قوله : «وبشارة عيسى» يعني قوله : ﴿ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ ﴾ . (سورة الصف : ٦) .

وقوله : «نور أضاء لها منه قصور الشام» وذلك النور عبارة عن ظهور نبوته ما بين المشرق والمغرب وأضمحل بها ظلمة الكفر والضلالة) انتهى ما في المرقاة .

ذكر شمائله وفضائله ﷺ في التوراة

ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره : ٣/٤٩٧ - ٤٩٨: قال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود .. عن عطاء بن يسار قال : «لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ (الأحزاب : ٤٥) وحرزا للأميين ، فأنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، فيفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما وقلوباً غلفا» . (وقد رواه البخاري في البيوع . . .)

ثم ذكر ابن كثير رحمه الله وقال : قال وهب ابن منبه ـ رحمه الله : إن الله تعالى أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له شعياء : أن قم في قومك بني إسرائيل ، فإني منطق لسانك بوحي ، وأبعث أمياً من الأميين ، أبعثه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق لو يمر إلى جنب سراج لم يطفئه من سكينته ، ولو يمشي

على القصب لم يسمع من تحت قدميه ، أبعثه مبشرا ونذيرا لا يقول الخنا ـ أي الفحش والخشونة ـ أفتح به أعيناً كمهاً ، وآذاناً صماً ، وقلوبا غلفاً ، أسدده لكل أمر جميل وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة منطقه ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلال ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأعرف به بعد النكرة، وأكثر به بعد القلة ، وأغني به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين أمم متفرقة ، وقلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وأستنقذ به فئاما من الناس عظيمة من الهلكة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، موحدين مؤمنين مخلصين مصدقين لما جاءت به رسلي ، ألهمهم التسبيح والتحميد والثناء والتكبير ، والتوحيد في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم ، يصلون لي قياما وقعودا ، ويقاتلون في سبيل الله صفوفا وزحوفا ، ويخرجون من ديارهم ابتغاء مرضاتي ، ألوفا يظهرون الوجوه والأطراف ، ويشدون الثياب في الأنصاف قربانهم

دماؤهم ، وأناجيلهم في صدورهم ، رهبان بالليل ليوث بالنهارِ، وأجعل في أهل بيته وذريته السابقين والصديقين والشهداء والصالحين ، أمته من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون ، وأعز من نصرهم ، وأيد من دعا لهم وأجعل دائرة السوء على من خالفهم ، أو بغى عليهم ، أو أراد أن ينتزع شيئا مما في أيديهم ، أجعلهم ورثة لنبيهم والداعية إلى ربهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويوفون بعهدهم ، أختم بهم الخير الذي بدأته بأولهم ، ذلك فضلي أؤتيه من أشاء ، وأنا ذو الفضل العظيم) .

ثم قال ابن كثير : هكذا رواه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه اليماني رحمه الله . ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ... عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ وقد كان أمر عليا و معاذا رضي الله عنهما أن يسيرا إلى اليمن فقال : «انطلقا فبشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا ، إنه قد أنزل عليّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾(الفتح : ٨).

انتهى ما ذكره ابن كثير بحذف يسير .



فصل هـــام جـــدا

في تكميل الله تعالى له ﷺ المحاسن خلقاً وخلقاً

إن قلت أكرمك الله : لا خفاء على القطع بالجملة أنه ﷺ أعلى الناس قدراً ، وأعظمهم محلاً ، وأكملهم محاسناً وفضلا ، وقد ذهبت في تفاصيلِ خصال الكمال مذهباً جميلاً شوّقني إلى أن أقفَ عليها من أوصافه ﷺ تفصيلا .

فاعلم نوّر الله قلبي وقلبك ، وضاعف في هذا النبي الكريم ﷺ حبي وحبك ، أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخِلقة وجدته ﷺ حائزاً لجميعها ، محيطاً بشتى محاسنها دون خلاف بين نقلة الأخبار لذلك ، بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع .

أما الصورة وجمالها وتناسب أعضائه ﷺ في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة المشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وأنس بن مالك وأبي هريرة والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين وابن أبي هالة وأبي جحيفة وجابر بن سمرة وأم معبد وابن عباس ومعرِّض بن معيقيب وأبي الطفيل وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين . (مقتبس من الشفاء : ١/٥٧ـ ٥٨) .

هـذا ونبدأ في بيان هذه المحاسن الخَلقية والخُلقية بلسان شبيه النبي ﷺ وسبطه السني: الحسن بن عليّ رضي الله عنهما فنقول وبالله التوفيق :

ذكر القاضي عياض رحمه الله في الشفا : ١٥٥/١ بسنده وقال : قال الحسن بن علي (رضي الله عنهما) : .. سألت خالي هند بن أبي هالة **عن حلية رسول الله** ﷺ وكان وصافاً ، وأنا أرجو أن يصفَ لي منها شيئاً أتعلق به ، قال كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً (أي عظيماً معظما) ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربوع ، وأقصر من المشذّب (أي أصغر من الطويل في فخامته) ، عظيم الهامة ، رَجِل الشعر إن انفرقت عقيقته فرق ، ولا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره (الوفرة : الشعر إلى شحمة الأذن) ، أزهر اللون (أي أبيض مشرب بحمرة) ، واسع الجبين ، أزجّ الحواجب سوابغَ من غير قرن ، بينهما عرق يدرّه الغضب، أقنى العرنين : له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله أشمَ (الشم ارتفاع قصبة الأنف مع استواء أعلاه) كث اللحية ، أدعج (أي شديد سواد العين والحدقة) سهل الخدين ، ضليع الفم (الضليع الواسع بالاعتدال) أشنب مفلج الأسنان ، دقيق المسربة (أي الشعر الذي في وسط الصدر إلى السرة) كأن عنقه

جيد دُمية في صفاء الفضة ، معتدل الخلق ، بادناً متماسكاً ، سواء البطن والصدر ، مشيح ـ عريض ـ الصدر بَعيد ما بين المنكبين ، ضخم الكراديس أنورَ المتجرّدِ ، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر تجري كالخط ، عاريَ الثديين ما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر ، طويل الزندين ، رحب الراحة ، شثن الكفين والقدمين ، سائل الأطراف ـ أو قال ـ سائن الأطراف وسائر الأطراف ، سبط العصب ، خمصان الأخمصين ، مسيح القدمين ، ينبو عنهما الماء إذا زال زال تقلعاً ويخطو تكفّوا ، ويمشي هوناً ، ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب ، وإذا التفت التفت جميعاً ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جُل نظره الملاحظة ، يسوق أصحابه ، ويبدأ من لقيه بالسلام .

قلت: صف لي منطقه ﷺ ! قال : كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان ، دائم الفكر ، ليست له راحة ، ولا يتكلم في غير حاجة ، طويل السكوت ، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلم فصلاً لا فضول فيه ولا تقصيرَ ، دمثاً ليس بالجافي ولا المـَهينِ ، يعظم النعمة وإن دقت ، لا يذم شيئاً (من النعم) ، لم يكن يذم

ذواقاً (المذوق المطعوم) ولا يمدحه ، ولا يقام لغضبه إذا تعرّض للحق بشيء حتى ينتصر له ، ولا يغضب لنفسه ، ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفه كلها ، وإذا تعجب قلّبها وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحة اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح (أي مال وانقبض) وإذا فرح غض طرفه (حياء منه) ، جلّ ضحكه التبسم (لا يسمع فيه الصوت) ، ويفتر عن مثل حب الغمام . (قوله : «يفتر» : افتر فلان ضاحكاً أي أبدى أسنانه) .

قال الحسن : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكتمتها (أي الشمائل) عن الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا زماناً ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه . فسأل أباه عن مدخل رسول الله ﷺ ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئاً .

قال الحسين **سألت أبي عن دخول رسول الله** ﷺ فقال : كان دخوله لنفسه (أي للأكل والمنام ونحوهما) مأذناً (من الله) في ذلك ، فكان إذا أوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء : جزءا لله ، وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ، ثم جزّأ نفسه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ، (قال ابن الأثير : إن العامة لا تصل إليه في هذا الوقت فكانت الخاصة تخبر العامة بما

سمعت منه ﷺ فكأنه أوصل الفوائد إلى العامة بسبب الخاصة اهـ) ولا يدخر عنهم شيئا ، وكانت من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل (أي أهل العلم والعمل) بإذنه (في الدخول عليه) ، وقسمته على قدر فضلهم في الدين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم ، والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ، ويقول : ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته ، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة (على الصراط) لا يذكر عنده إلا ذلك (أي حوائج الناس) ولا يقبل منه أحد غيره (أي غير هذا الكلام) .

وفي حديث سفيان بن وكيع : يدخلون رواداً ولا يتفرقون إلا عن ذواق ، ويخرجون أدلة يعني فقهاء .

قلت : فأخبرني عن مخرجه ﷺ كيف كان يصنع فيه ؟ قال : كان رسول الله ﷺ يخزن (أي يحفظ) لسانه إلا مما يعنيهم ، ويؤلفهم ولا يفرقهم ، ويكرم كريم كل قوم ، ويوليه عليهم ، ويحذّر الناس ، ويحترس منهم (أي يحترز أن يفشو سره) من غير أن يطوي عن

أحد بِشْرَه وخُلقه ، ويتفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما في الناس ، ويحسّن الحسن ويصوّبه ، ويقبّح القبيح ويوهّنه ، معتل الأمر غير مختلفٍ ، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا ، لكل حال عنده عتاد (أي العُدّة الشئ الحاضر المعد) ، لا يقصّر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره ، الذين يلونه من الناس خيارهم ، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة وموازرة .

فسألته عن مجلسه ﷺ عما كان يصنع فيه ؟

فقال كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ولا يوطّن الأماكن وينهى عن إيطانها ، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه مَن جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، مَن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول (أي بحاجة أو بكلام حلو) ، قد وسع الناس بسطه ﷺ وخُلقه ، فصار لهم أباً (في التعليم والشفقة) ، وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى .

وفي رواية أخرى : صاروا عنده في الحق سواء ، مجلسه مجلس حلم وعلم وحياء وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا توبنُ فيه الحُرَم (أي لا تذكر فيه الأمور المحرمة يقال : فلان يوبن بكذا أي يذكر بقبيح) ، ولا تُنثى فيه فلتاته (أي هفواته يعني لم يكن في مجلسه فلتة وإن كانت من أحد سترت لا نشرت) ، يتعاطفون (أي أهل المجلس) بالتقوى متواضعين ، يوقّرون فيه (أي في مجلسه) الكبير ، ويرحمون الصغير ، ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب .

فسألته عن سيرته ﷺ في جلسائه ؟ فقال : كان رسول الله ﷺ دائمَ البِشْرِ ، سهلَ الخُلُق ، ليّن الجانب ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب ولا فحاش ، ولا عيّاب ولا مدّاح ، يتغافل عما لا يشتهي ، ولا يوئس منه ، قد ترك نفسه عن ثلاث : الرياء ، والإكثار (أي الإسراف) وما لا يعنيه (أي كثرة الكلام وفضوله) ، وتركَ الناس عن ثلاث : كان لا يذم أحداً ، ولا يعيّره (أي لا يطعنه) ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، وإذا تكلم أطرق جلسائه كأنما على رؤوسهم الطير ، وإذا سكت النبي ﷺ تكلموا ، لا يتنازعون عنده الحديثَ ، مَن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديثُ أولهم

يضحك مما يضحكون ، ويعجب مما يعجبون ، ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ، ويقول : إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه (أي اعطوه) ، ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوّزه فيقطعه بإنتهاء أو قيام. هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع .

وزاد الآخر : قلت : كيف كان سكوته ﷺ ؟

قال : كان سكوته على أربع : على الحلم ، والحذَر (أي تيقظ) ، والتقدير والتفكر ، فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس ، وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى (من الدنيا) ، وجمع له الحلم في الصبر ، فكان لا يُغضبه شيء يستفزه (يستخفه) .

وجمع له ﷺ في الحذر أربع : أخذه بالحسن ليُقتدى به ، وتركه القبيح ليُنتهى عنه ، واجتهاد الرأي بما أصلح أمته ، والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة . انتهى الوصف بحمد الله وعونه . انتهى ما ذكره القاضي عياض في الشفا .

ثم ذكر القاضي في الشفا ١٦١/١ : « فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله» وقال: قوله : « المشذّب» أي البائن الطول في فخامته وهو مثل قوله في الحديث الآخر

«ليس بالطويل المغـّط» . وقوله «رجل الشعر» : الشعر الرَجِل الذي كأنه مشط فتكسّر قليلاً ، ليس بسبط ولا جعد ، والعقيقة شعر الرأس أراد إن انفرقت من ذات نفسها فرقها وإلا تركها معقوصة ، ويروى عقيصته ، قوله : «أزهر اللون» نيّره ، وقيل : أزهر حسن ، ومنه زهرة الحياة الدنيا أي زينتها ، وهذا كما قال في الحديث الآخر : « ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدمْ ، والأمهق : هو الناصع البياض والآدم الأسمر اللون ، ومثله في الحديث الآخر : « أبيض مُشرب» أي فيه حمرة ، والحاجب الأزج المقوّس الطويل الوافر الشعر ، و« الأقنى» السائل الأنف المرتفع وسطه ، و« الأشم» الطويل قصبة الأنف، و« القرن» اتصال شعر الحاجبين ، وضده البلج . ووقع في حديث أم معبد وصفه بالقرن ، و« الأدعج» الشديد سواد الحدقة ، وفي الحديث الأخر : « أشكل العين وأسجر العين» وهو الذي في بياضها حمرة و« الضليع» الواسع و « الشنب» رونق الأسنان وماؤها ، وقيل : رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في أسنان الشباب ، والفلج فرق بين الثنايا و« دقيق المسربة» خيط الشعر الذي بين الصدر و السرة ، « بادن» ذو لحم « ومتماسك» معتدل الخلق يمسك بعضه بعضاً مثل قوله في الحديث الآخر : « لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم» أي ليس بمسترخي اللحم ، و« المكلثم» القصير

الذقن ، و« سواء البطن والصدر» أي مستويهما .. « مسيح الصدر» بمعنى عريض الصدر و« الكراديس» رؤوس العظام وهو مثل قوله في الحديث الآخر : « جليل المشاش والكتد» « والمشاش» رؤوس المناكب « والكتد» مجتمع الكتفين ، « وشثن الكفين والقدمين» : لحيمهما ؛ « والزندان» : عظما الذراعين ، « وسائل الأطراف» أي طويل الأصابع ، .. وقيل : كنّى به عن سعة ا لعطاء والجود ، «وخمصان الأخمصين» أي متجافي أخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط القدم ، «ومسيح القدمين» أي أملسهما ، ولهذا قال : ينبو عنهما الماء ... «والهون» الرفق والوقار «والذريع» : الواسع الخطو أي أن مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ، ويَمُدّ خَطوه خلاف مِشية المختال ويقصد سمته ، وكل ذلك برفق وتثبّت دون عجلة كما قال : كأنما ينحط من صبب ، وقوله : «يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه» أي لسعة فمه ، والعرب تتمادح بهذا، وتذم بصغر الفم «واشاح» أي مال وانقبض «وحب الغمام» البرد ، وقوله : «فيردّ ذلك بالخاصة على العامة» أي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة إليه فتوصل عنه للعامة ، «ويدخلون روادا» أي محتاجين إليه وطالبين لما عنده «ولا ينصرفون إلا عن ذواق» قيل : عن علم يتعلمونه ، ويشبه أن يكون على ظاهره ، أي في الغالب

والأكثر «والموازرة» المعاونة ، وقوله : «لا يوطن الأماكن» أي لا يتخذ لمصلاه موضعاً معلوماً ، وقد ورد نهيه عن هذا ، مفسراً في غير هذا الحديث ، «وصابره» أي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ، «ولا نوبن فيه الحرام» أي لا يذكرن فيه بسوء ... «ويرفدون» أي يعينون ، «والسخاب» أي الكثير الصياح ، وقوله : «ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ» قيل : مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل : إلا من مسلم ، وقيل : إلا من مكافئ على يد سبقت من النبي ﷺ له ، «يستفزه» يستخفه ، وفي حديث آخر في وصفه صلى الله عليه وسلم . «منهوس العقب» أي قليل لحمها ؛ «وأهدب الأشفار» أي طويل شعرها» . انتهى ما ذكره القاضي عياض في الشفا .

قال العلماء : كان النبي ﷺ يمتاز من كمال خَلقه ، وكمل خُلُقه بما لا يحيط بوصفه البيان ، وكان من أثره أن القلوب فاضت بإجلاله ﷺ ، والرجال تفانوا في حياطته وإكباره ﷺ بما لا تعرف الدنيا لرجل غيره ﷺ ، فالذين عاشروه : أحبوه ﷺ إلى حد الهيام ، ولم يبالوا أن تندق أعناقهم ولا يخدش له ظفر ، وما أحبوه كذلك إلا أن أنصبته من الكمال الذي يعشق عادة لم يرزق بمثلها بشر .اهـ

وفيما يلي نورد ملخص الروايات من كتب أئمة الحديث في بيان جماله وكماله وخصاله ﷺ غير المكتسبة - مع اعتراف العجز عن الإحاطة - تنشرح لها صدور المحبين ، وتتضاعف محبتهم له صلى الله عليه وسلم (إن شاء الله تعالى) .

قالت أم معبد الخزاعية رضي الله عنها عن الرسول ﷺ - وهي تصفه لزوجها حين مر بخيمتها مهاجراً - ظاهرُ الوضاءة ، أبلجُ الوجه ، حَسَنُ الخَلْق ، لم تعبه ثُجْلَة ، ولم تُزر به صُعْلَة ، وَسِيم قسيم ، في عَينيه دَعَجٌ وفي أشفاره وطَفٌ ، وفي صوته صَحَل ، وفي عُنُقه سطَعٌ ، أحورُ ، أكحلُ ، أزجُّ ، أقرنُ ، شديدُ سواد الشعر ، إذا صمتَ علاه الوقارُ ، وإن تكلم علاه البهاءُ ، أجملُ الناس وأبهاهم من بعيد ، وأحسنه وأحلاه من قريب ، حُلْوُ المنطق ، فصْلٌ ، لا نَزْر ، ولا هَذْر ، كأنَّ منطقه خرزات نظم يتحَدَّرْنَ ، ربعةٌ ، لا تقحمُه عينٌ من قصر ولا تشنَؤه من طول ، غَصنٌ بين غُصنَين ، فهو أنضَرُ الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدراً ، له رُفقَاء يحفُّون به ، إذا قال ، استمعوا لقوله ، وإذا أمر ، تبادروا إلى أمره ، محفودٌ ، محشودٌ ، لا عابسٌ ولا مُفْنِدٌ .

فقال أبو معبد : واللهِ هذا صاحبُ قريش الذي ذكروا من أمره ما ذكروا ، لقد هممتُ أن أصحَبه ، ولأفعلنَّ إن وجدتُ إلى ذلك سبيلاً ؛ وأصبح صوت بمكة عالياً يسمعونه ولا يرون القائل :

جزَى اللهُ ربُّ العرشِ خيرَ جزائه
رفيقَينِ حلاَّ في خيمتَيْ أم معبَد
هما نزلا بالبِرّ وارتحلا به
وأفلح مَن أمسى رفيقَ محمّدِ
فيا لقُصَيّ ما زَوى الله عنكم
به مِن فعالٍ لا يُجازَى وتسُودَدِ
ليَهْنَ بني كعب مكانُ فتاتهم
ومَقعَدُها للمؤمنينَ بمرصد
سَلُوا أختَكم عن شاتِها وإنائها
فإنكم إن تسألوا الشاءَ تشْهَدِ

(ذكره ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد ٣/٥٦-٥٧) وقال في هامشه : حديث حسن أخرجه الحاكم ٣/٩-١٠ ... الخ ثم قال : قوله : «الثجْلة» أي ضخامة البدن ، وقوله : «صعلة» أي صغر الرأس ، قوله : «وسيم قسيم» حسن جميل ، «الدعج» سواد العين «وفي أشفاره وطف» أي في شعر أجفانه طول ، «صحل» بحة وخشونة ، «سطع» طول

«أزج» الحاجب الرقيق في الطول ، «لا نزر ولا هذر» أي وسط لا قليل ولا كثير . «محفود» الذي يخدم أصحابه . ويعظمونه ويسرعون في طاعته . «المحشود» الذي يجتمع إليه الناس «ولا مفندا» أي لا يفند أحداً أي يهجنه ويستقل عقله بل جميل المعاشرة حسن الصحبة صاحبه كريم عليه . (صلوات الله وسلامه عليه)

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو ينعت رسول الله ﷺ : لم يكن بالطويل الممغط ، ولا القصير المتردد وكان ربعة من القوم ، ولم يكن بالجعد القطط ، ولا بالسبط ، وكان جعداً رَجِلا ، ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم ، وكان في الوجه تدوير ، وكان أبيض مشرباً ، أدعج العينين ، أهدب الأشفار ، جليل المشاش والكتد ، دقيق المسربة ، أجرد ، شثن الكفين والقدمين ، إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب ، وإذا التفت التفت معاً ، بين كتفيه خاتم النبوة ، وهو خاتم النبيين ، أجود الناس كفاً ، وأجرأ الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفى الناس ذمة ، وألينهم أريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته : «لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ» (ابن هشام : ٤٠١/١ ، وجامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي : ٣٠٣/٤ .

قوله «المغـَط» المتناهي في الطول «الجعد» ملتوي ومنقبض الشعر «القطط» شديد الجعودة . «السبط» المسترسل «المطهم» منتفخ الوجه . وقيل : النحيف الجسم «المكلثم» هو اجتماع لحم الوجه بلا جهومة . «أهدب الأشفار» أي طويل شعر الأجفان . «جليل المشاق» أي عظيم رؤوس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين «الكتد» مجتمع الكتفين وهو الكاهل . «أجرد» هو الذي ليس على بدنه شعر . «المسربة» الشعر الدقيق الذي هو كأنه قضيب من الصدر إلى السرة . «الشثن» الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين. «البديهة» المفاجأة.

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «أنه كان ضخم الرأس ، ضخم الكراديس ، طويل المسربة ، إذا مشى تكفأ تكفيا كأنما ينحط من صبب» . (نفس المصدر الأخير) .

قوله : «الكراديس» رؤوس العظام وقيل : هي ملتقى كل عظمتين ضخمين كالركبتين والمرفقين والمنكبين أراد أنه ضخم الأعضاء .

وقال جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «كان ضليع الفم ، أشكل العين ، منهوس العقبين» (صحيح مسلم ٢/٢٥٨) .

قوله : «ضليع الفم» أي عظيم الفم . «أشكل العين» أي طويل شق العين . «منهوس العقب» أي قليل اللحم .

وقال أبو الطفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «كان أبيض ، مليح الوجه مقصداً» (صحيح مسلم ٢/٢٥٨) .

قوله «مقصداً» هو الذي ليس بجسيم ولا نحيف ولا طويل ولا قصير .

وقال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «كان بسط الكفين وقال : كان أزهر اللون ، ليس بأبيض أمهق ، ولا آدم ، قبض وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء» (صحيح البخاري : ١/٥٠٢) .

قوله : «أزهر اللون» أي أبيض مشرب بحمرة . «الأبيض الأمهق» شديد البياض كلون الجص . «الآدم» أي الأسمر والمعنى : ليس بأسمر ولا بأبيض كريه البياض بل أبيض بياضا نيراً مشرباً (يسر الناظرين) .

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «إنما كان شيء - أي من الشيب - في صدغيه . وفي رواية : «وفي الرأس نبذ» - أي شيء يسير - (المصدر السابق ، وصحيح مسلم ٢/٢٥٩) .

وقال أبو جحيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «رأيت بياضاً تحت شفته السفلي : العنفقة» - أي تحت شفته السفلي وفوق الذقن - (صحيح البخاري ١/٥٠١-٥٠٢) .

وقال عبد الله بن بسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « كان في عنفقته شعرات بيض» . (صحيح البخاري ١/٥٠٢) .

وقال البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «كان مربوعاً ، بعيد ما بين المنكبين ، له شعر يبلغ شحمة أذنيه ، رأيته في حلة حمراء ، لم أر شيئا قط أحسن منه» (صحيح البخاري : ٥٠٢/١) .

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «كان أحسن الناس وجهاً ، وأحسنهم خلقا» (صحيح البخاري ٥٠٢/١ ، مسلم ٢٥٨/٢) .

وسئل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال : لا ، بل مثل القمر . **وفي رواية** : «كان وجهه مستديراً» (صحيح البخاري ٥٠٢/١ ، مسلم ٢٥٩/٢) .

وقالت الربيّع بنت معوذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « يا بني ! لو رأيته رأيت الشمس طالعة» (ينظر الدارمي في المقدمة برقم : ٦٠ و مشكاة المصابيح : ٥١٧/٢) .

أي لو رأيت نور وجهه ﷺ وطالعت فيه مطالعة ووافكك الطالع الميمون ... «رأيت الشمس طالعة» أي في وجهه ﷺ الخ (ما في المرقاة ٨٣/١١) .

وقال جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «رأيته في ليلة أضحيان - أي ليلة مضيئة لا غيم فيها - فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ وإلى القمر - وعليه حلة حمراء - فإذا هو أحسن عندي من القمر » (رواه الترمذي في كتاب الأدب برقم : ٢٧٣٥ ، وأورده صاحب المشكاة عن الترمذي والدارمي ينظر مشكاة المصابيح٥١٨/٢) .

وقال أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ ، كأن الشمس تجري من وجهه وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله ﷺ ، كأنما الأرض تطوى له ، وإنا لنجهد أنفسنا ، وإنه لغير مكترث».

(جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي ٣٠٦/٤ ، مشكاة المصابيح ٥١٨/٢).

وفي المرقاة ٨٣/١١ : قال الطيبي : شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه ، وفيه معنى قول الشاعر :

يزيدك وجهه حسناً
إذا ما زدته نظراً اهـ

فهذا التكرير والبيان على وجه التكثير يعد من قبيل :

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره
هو المسك ما كررته يتضوع مرقاة ١٤٣/١١

قوله : «وإنه لغير مكترث» أي غير مبال بمشينا أو غير مسرع بحيث تلحقه مشقة فكأنه يمشي على هينه .. (من المرقاة) .

وقال كعب بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «كان رسول الله ﷺ إذا سُرّ - أي صار مسروراً - استنار وجهه ، حتى كأن وجهه قطعة قمر ، وكنا نعرف» . متفق عليه كما في المشكاة باب أسماء النبي ﷺ وصفاته ، وصحيح البخاري ٥٠٢/١).

وفي رواية لمسلم **عن جرير عن أبيه** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه :

«... رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مُذهَبة ..»

(صحيح مسلم رقم ١٦٩١ كتاب الزكاة و سنن النسائي رقم ٢٥٠٧ كتاب الزكاة) .

وعرق رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وهو عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فجعلت تبرق أسارير وجهه ، فتمثلت له بقول أبي كبير الهذلي :

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه
برقت كبرق العارض المتهلل

(رحمة للعالمين ٢/١٧٢).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أن النبي ﷺ لبس بُردة سوداء ، فقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : ما أحسنها عليك !! يشرب بياضُك سوادها ، وسوادُها بياضك . (أخرجه أحمد ج٦ص١٣٢ ، وأبو داود ج٤/٤٠٧٤) .

وكان إذا رآه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول :

أمين مصطفى بالخير يدعو
كضوء البدر زايله الظلام

(خلاصة السير ص٢٠)

وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينشد قول زهير في هرم بن سنان:

لو كنتَ من شيء سوى البشر
كنت المضيء ليلة البدر

ثـــم يقـــول : كذلـــك كان رســـول الله ﷺ .

(خلاصة السير ص٢٠).

«وكـان إذا غضـب احمـرّ وجهـه ، حتـى كأنمـا فقـيء في وجنتيه حب الرمان» . (مشكاة المصابيح ٢٢/١، ورواه الترمـذي في أبواب القدر : باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر ٣٥/٢).

قال ابـن عبـاس رضي الله عنهما «كـان أفلـج الثنيـتين ، إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بـين ثنايـاه» (رواه الـدرامي كما في المشكاة رقم الحديث : ٥٧٩٧) .

قوله : «أفلج الثنيـتين» أي فرجـة مـا بـين الثنايـا والرباعيـات ، وقولـه : «كـالنور يخـرج مـن بـين ثنايـاه ﷺ» قال في المرقاة ٨٤/١١:

(وهو إما أن يـراد به كلامه النوراني ، أو أمـر زائـد يدركه الذوق الوجداني ، ولا منع من الجمع .

لما رواه أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه مـن أنـه ﷺ كان لا يحدث حديثاً إلا تبسم ولعـل العـارف بـن الفـارض أشار إليه في قوله :

عليك بها صرفاً فإن شئت مزجها

فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم اهـ

وفي خلاصـة السـير ص ١٩-٢٠ : «وأمـا عنقـه فكأنـه جيدُ دمية في صفاء الفضة ، وكـان في أشـفاره غطـف ، وفي لحيته كثافة ، وكان واسع الجـبين ، أزج الحواجـب في غـير قرن بينهما ، أقنى العرنين ، سهل الخـدين ، مـن لبتـه إلى

سرته يجري كالقضيب ، ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره أشعر الذراعين والمنكبين ، سواء البطن والصدر ، مسيح الصدر عريضه ، طويل الزند ، رحب الراحة ، سبط القَصَب ، خمصان الأخمصين ، سائل الأطراف ، إذا زال زال قلعا ، يخطو تكفياً ويمشي هوناً» انتهى .

قوله : «الجيد» العنق . «الدمية» : الصورة المصورة . «الأقنى» : الذي ارتفع على أنفه واحدودب وسطه وضاق منخراه . «والعرنين» : الأنف وما صلب منه «سبط القصب» : الممتد الذي ليس فيه تعقد ولا نتوء والقصب يريد بها ساعديه وساقيه . الأخمص من القدم : الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء .

وعن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : صليت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الأولى - أي الفجر أو الظهر - ثم خرج إلى أهله ، وخرجت معه ، فاستقبله ولدان ، فجعل يمسح خدّي أحدهم واحداً واحداً ، وأما أنا فمسح خديَّ - بصيغة التثنية - فوجدت ليده برداً أو ريحاً - أي راحة طيبة - كأنما أخرجها من جؤنة عطار» (رواه مسلم في كتاب الفضائل برقم : ٤٢٩٧) .

قوله : «جؤنة عطار» أي سلته وحقنه التي يعد فيها الطيب ويحرز .

وذكر القارئ في المرقاة : ١١/ ٨٠ : (**قال النووي رحمه الله**) : وفي الحديث بيان طيب ريحه صلوات الله عليه وسلامه ، وهو ما أكرمه الله سبحانه وتعالى به ، قالوا : وكانت هذه الريح الطيبة صفته وإن لم يمس طيباً ، ومع هذا كان يستعمل الطيب في كثير من الأوقات مبالغة في طيب ريحه لملاقاة الملائكة وأخذ الوحي الكريم ومجالسة المسلمين) انتهى .

روى البخاري ومسلم عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : كان رسول الله ﷺ أزهر اللون ، كأنَّ عرقه اللؤلؤ - أي في الهيئة والصفاء والضياء - إذا مشى تكفأ ، وما مسستُ ديباجة ولا حريراً ألين من كف رسول الله ﷺ ، ولا شممتُ مسكاً ولا عنبراً أطيب من رائحة النبي صلى الله عليه وسلم» . (متفق عليه كما في المشكاة رقم ٥٧٨٧ باب أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته) .

قوله : «تكفأ» أراد به الترفع عن الأرض مرة واحدة كما يكون مشي الأقوياء وذوي الجلادة بخلاف المتماوت الذي يجر رجله في الأرض ..الخ (ما في المرقاة ١١/٧٨).

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «ما مسستُ حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي ﷺ ، ولا شممت ريحا قط أو عرفاً قط .

وفي روايـــة عـــنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «مـا شممـت عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً ، أطيـب مـن ريـح أو عـرف رسول الله ﷺ» (صحيح البخاري ٥٠٣/١ ، صحيح المسلم ٢٥٧/٢).

قال القاضي عياض في الشفاء ٦٢/١ بعد ذكـر هـذا الحديث : قال غـيره : مسَّها بطيـب أم لم يمسّها ، يصافح المصافحة فيظلُّ يومَه يجد ريحها ، ويضع يـده علـى رأس الصبيّ فيُعرف من بين الصبيان بريحها . انتهى .

وقال أبو جحيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «أخذت بيده ، فوضعتها على وجهي ، فـإذا في أبرد من الثلج ، وأطيـب رائحـة مـن المسك» . (صحيح البخاري ٥٠٢/١).

وعــن أم سليــم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن الـنبي صلى الله عليـه وسلم كان يأتيها فيقيـلُ ـ مـن القيلولـة وهـي الاسـتراحة عند الهجيرة ـ فتبسط نطعـاً ـ أي بساطا ـ فيقيـل عليـه، وكان كثير العرق ، فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيـب فقال النبــي ﷺ : «يا أم سليــم ! مـا هـــذا ؟» قــالت : عرقك نجعــله في طِيـبــنا وهـــو مـن **أطيـب الطيـب**» أي ليطيب طيبنا ببركته أو بزيادته كمـــا في المرقاة .

(رواه البخاري ومسلم كما في المشكاة) .

وفــي روايـــة : «قالـت : يـا رسـول الله ! نـرجـو بـركتـه لصـبياننا ، قـال : «أصـبت» ـ أي فعلتِ الصـواب .

(ينظر صحيح مسلم كتاب الفضائل رقم : ٤٣٠٠ و٤٣٠١ ، وأورده صاحب المشكاة برقم ٥٧٨٨ وقال : متفق عليه ، كما في باب أسماء النبي ﷺ وصفاته) .

قال في المرقاة ٧٩/١١ : (وفيه استحباب التبرك والتقرب بآثار الصالحين) .

قيل : لما حضر أنس بن مالك رضي الله عنه الوفاة أوصى أن يجعل في حنوطه من ذلك الطيب) انتهى ما في المرقاة .

وعن جابر رضي الله عنه : «أن النبي ﷺ لم يسلك طريقاً فيَتبعهُ أحدٌ إلا عرف أنه (ﷺ) قد سلكه - أي ذلك الطريق - من طيب عرفه ، أو قال : من ريح عرقه». (رواه الدرامي في المقدمة برقم : ٦٦ ، وأورده صاحب المشكاة برقم ٥٧٩٢ في باب أسماء النبي ﷺ وصفاته) .

قال في المرقاة : ٨٢/١١ قوله : «بطيب عَرْفه» **(أي رائحته يعني بتكيف هواء ذلك الطريق بكيفية الطيب منه ﷺ ، فيعرف منه أنه ﷺ قد سلك هذا الطريق**).

وقال ابن الملك : هذا من خصائصه دون سائر الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام) انتهى .

وفي «فضائل المدينة المنورة ٢٤١/١» للدكتور خليل ملا خاطر حفظه الله حيث قال : ولما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة ، أضاء من المدينة كل شيء .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة ، أضاء من المدينة كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ أظلم من المدينة كل شيء ، وما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا» . رواه أحمد ، والترمذي وابن حبان والحاكم - وصححوه - وابن ماجه ، والبغوي ، والدارمي بنحوه وأبو يعلى .

فمن فرحها أضاءت ، ومن حزنها أظلمت ، ومن هنا سميت «المدينة المنورة» والله أعلم .

ثم ذكر الدكتور في هامشه وقال : (رواه أحمد ٢٦٨/١٢٢/٣، وسنن الترمذي رقم ٣٦١٨ والشمائل له ٢٠٩/٢ ، والمستدرك ٧٥/٣ وصححه على شرط مسلم وأقره الذهبي ، وصحيح ابن حبان ٢١٨/٨ ، وسنن ابن ماجه : رقم : ١٦٣١ ، وسنن الدارمي ٤١/١ رقم : ٨٩ ، ومسند أبي يعلى ٣٣٣/٣-٣٦١ ط دار القبلة . والشمائل للبغوي ٧٥٦/٢-٧٥٧ ، والطبقات الكبرى ٢٧٤/٢) انتهى .

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه : «وما كان أحدٌ أحبُّ إليّ من رسول الله ﷺ ، ولا أجلّ في عيني منه ، وما كنتُ أطيق أن أملأ عينيَّ منه إجلالاً له . ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عينيّ منه صلى الله عليه وسلم» . (مسلم ج١ص١١٢) .

وعــن الــبراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أيضاً قال : «ما رأيت أحداً في حلة حمراء مترجلا أزين ولا أجمل من رسول الله ﷺ وكان شعره قريبا من منكبيه» .(انظر الفتح ج١٠/٥٩٠١ وسنن أبي داود ج٤/٤١٨٣ والترمذي ج٤/١٧٢٤).

وعن عون بن أبي جحيفة ، عن أبيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال «أتيت رسول الله ﷺ يوم النفــر بالأبطح ، فخرج رسول الله ﷺ في حلة حمراء ، كأني أنظر إلى بياض ساقه من ورائــه» . أخرجه البخاري كما في الفتح ج١/٣٧٦ ومسلم ج١/٢٤٩ والنسائي ج٢/٧٣ والترمذي ج١/١٩٧) .

وروي أيضاً عن كعب بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يحدث حين تخلف عن تبوك قال : فلما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر» . (البخاري ج ٤ ص ٢٢٨) .

وعــن أنــس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حديث رفع الإمام يده في الاستسقاء قال : :« كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء ، وإنه يرفع حتى يرى بياض إبطيه» (صحيح البخاري ج ٢ ص ٣٨) .

وعن أبي جحيفة السّوائي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حديث العنزة وفيه : «فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج ، وأطيب رائحة من المسك». (البخاري ج ٤ ص ٢٢٩) .

قدرُ يَدِ المصطفى ﷺ وفمه المبارك عند المحبين له صلى الله عليه وسلم

وما أدراك ما قدر يد النبي ﷺ وفمه المبارك وعظمته عند السلف الصالح ؟ وقد ذكر الإمام الذهبي رحمه الله في «سير أعلام النبلاء» ٤٢/٤ وقال :

(وقد كان ثابت البناني رحمه الله إذا رأى أنس بن مالك أخذ يده فقبَّلها ويقول : يدٌ مسّت يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

ثم قال الذهبي رحمه الله : (فنقول نحن إذا فاتنا ذلك : حجرٌ مكرم بمنزلة يمين الله في الأرض ، مسته شفتا نبينا ﷺ لاثما له ، فإذا فاتك الحج ، وتلقيت الوفد ، فالتزم الحاج وقبل فمه ، وقل : فمٌ مس بالتقبيل حجراً قبَّله خليلي ﷺ) انتهى .

وفي التاريخ القويم للكردري ٢٩٩/٣ : (إن في تقبيل المسلمين واستلامهم للحجر الأسود نقطة دقيقة ، وهي أن تقع أفواههم موضع فم رسول الله ﷺ ، وفم الأنبياء الذين قبله عليهم الصلاة والسلام ، وأن تلمس أيديهم مما لمسته أيديهم الشريفة من هذا الحجر المكرم

و أيٍّ مسلم خطرت بباله هذه النقطة لا يبدر بتقبيله واستلامه ؟!) انتهى .

وقال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٤٢/٤ أيضاً : (وقبّل حجراً مكرماً نزل من الجنة ، وضَعْ فمك لاثماً مكاناً قبّله سيد البشر ﷺ بيقين ، فهنأك الله بما أعطاك ، فما فوق ذلك مفخر ، ولو ظفرنا بالمحجن الذي أشار به رسول الله ﷺ إلى الحجر ، ثم قبل محجنه ، لحُقّ لنا أن نزدحم على ذلك المحجن بالتقبيل والتبجيل) اهـ.

وقال الإمام عز الدين بن جماعة في «هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك» ٨٢١/٢ : (وإذا أراد الإنسان أن يقبّل الموضع الذي قبله رسول الله ﷺ بيقين فليستوعب الحجر بالتقبيل إن أمكنه ، وقد استوعبته مرات بفضل الله) اهـ .

وقال سائد بكداش في مؤلفه «فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم» ص٤٣ : (ففي تقبيل الحجر الأسود صلةٌ وسندٌ عال متصلٌ بسيدنا رسول الله ﷺ بدون واسطة ، مسلسلٌ بتقبيل هذا الحجر المكرم ، ومتصل بالأنبياء الكرام والصحابة العظام ، ومن تبعهم من العلماء والصالحين ، ووفد الله وضيوفه من الحجاج والعمار ، ونسأل الله تعالى أن يكرمنا بما هو أهل) انتهى .

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ **غزا خيبر ..** الحديث . وفيه : **وانحسر الإزار عن فخذ النبي ﷺ وإني لأرى بياض فخذ النبي ﷺ**» . (مسلم ج ٣ ص ١٤٢٦) .

وروى أحمد عن محرِّش الخزاعي «أن النبي ﷺ **خرج من الجعرانة ليلاً ، فاعتمر ثم رجع ، فأصبح كبائتٍ بها ، فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة**» (مسند أحمد بشرح الفتح الرباني : ج٢٢ ص٦) . وينظر مسند أحمد مسند المكيين رقم : ١٤٩٦٥) .

وعن السائب بن يزيد رضي الله عنه **قال** : «**ذهبَتْ بي خالتي إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ! أن ابن أختي وجِع . فمسح رأسي ، ودعا لي بالبركة ثم توضأ فشربت من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره ، فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه ، مثلَ زر الحَجَلة**» (مسلم ج٤ ص ١٨٢٣) .

قال القرطبي رحمه الله : **دلت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفه الأيسر ﷺ ومقتضى الأحاديث يفيد أن الخاتم لم يكن موجوداً عند ولادته ﷺ ، وإنما وضع لما شُقّ صدره عند حليمة** (رضي الله عنها) . (السيرة الشامية ج ٢ ص ٦٩) .

وكان رسول الله ﷺ مكمل الخلق ، قد تمت صورته ﷺ ، وجمع الله فيه جميع محاسن الحسن والجمال ،

قـــال شاعــر الرســـول ﷺ : حســـان بــن ثــابت رضي الله عنه :

أحســن منـــك لم تــر قـــط عـيـــني

وأجمـــل منـــك لم تــلـد النـــســـاء

خُلـــقـــتَ مـــبرأ مـــن كل عـــيب

كأنــــك قـــد خُلقتَ كما تــشــاء

وقـــال آخر :

كالبـــدر والكاف إن أنصــفــت زائدة

فـــلا تظـنـنـهـــا كافـــأ لتشبيـــه

وقال آخر :

فهــــو الــذي تم معناه وصـــــورته

ثـم اصطفــاه حبـيباً بارئ النـــــسم

منزه عـــن شـريـــك في مـــحاسنــــه ﷺ

فجوهر الحســن فيــه غـــير منقســم

صلوات الله وسلامه عليه

قال تعالى في قصة سيدنا يوسف عليه السلام وزليخا :

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝٣١﴾

(يوسف : ٣١) .

ذكر ابن كثير في تفسيره : ٤٧٧/٢: حيث قال (... وعن مجاهد وقتادة : قطعن أيديهن حتى ألقينها . فالله أعلم .

وقد ذكر غير واحد أنها قالت لهن بعد ما أكلن وطابت أنفسهن مم وضعت بين أيديهن أترجا وآتت كل واحدة منهن سكينا : هل لكن في النظر إلى يوسف ؟ قلن : نعم ، فبعثت إليه تأمره أن اخرج إليهن ، فلما رأينه جعلن يقطعن أيديهن ، ثم أمرته أن يرجع ليرينه مقبلا ومدبراً فرجع وهن يحززن في أيديهن ، فلما أحسسن بالألم جعلن يولولن فقالت : أنتن من نظرة واحدة فعلتن هذا ، فكيف ألام أنا ؟ ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ ثم قلن لها : وما نرى عليك من لوم بعد هذا الذي رأينا ، لأنهن لم يرين في البشر شبيهه ولا قريبا منه، فإنه عليه السلام كان قد أعطي شطر الحسن كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح في حديث الإسراء أن رسول الله ﷺ مر بيوسف عليه السلام في السماء الثالثة قال : فإذا هو قد أعطى شطر الحسن ..) انتهى بحذف واختصار .

قال أبو طلحة : **هذا ما قيل** في حسن يوسف وجماله صلوات الله وسلامه عليه ، وفي معجم السفر

لأبي الحسن الحلواني : ٣٩٨/١ حيث أنشد من شعر أبيه الذي يصف حسن سيد الأنبياء وجماله ﷺ فيقول :

ولو سمعوا في مصر أوصاف خده ﷺ
لما بذلوا في سَوم يوسف من نقد
لوامي زليخا لو رأين جبينه ﷺ
لآثرن بالقطع القلوب على اليد اهـ

قلت : سمعت من بعض شيوخي أن بعضهم نسب هذه الأبيات الشعرية إلى أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها والله أعلم .

فائدة : قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٣٣) فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٣٤) ﴾ (يوسف : ٣٣-٣٤) .

قال ابن كثير ٤٧٨/٢ : «وذلك أن يوسف عليه السلام عصمه الله عصمة عظيمة وحماه ، فامتنع منها أشد الامتناع ، واختار السجن على ذلك ، وهذا في غاية مقامات الكمال أنه مع شبابه وجماله وكماله تدعوه سيدته وهي امرأة عزيز مصر ، وهي مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة ، ويمتنع من ذلك ويختار السجن على ذلك خوفاً من الله ورجاء ثوابه . انتهى .

قال الإمام القرطبي رحمه الله : (لم يظهر لنا تمام حسنه ﷺ ، لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم) انتهى .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((مِن أشدِّ أمتي لي حباً ناسٌ يكونون بعدي ، يودُّ أحدهم لو رآني بأهله وماله)) . (صحيح مسلم رقم : ٥٠٦٠ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فيمن يود رؤية النبي ﷺ بأهله وماله) .

قال أبو طلحة : أفاد الحديث أن أحب الأشياء من الدنيا وما فيها وأفضلها وأعلاها وأجودها وأحلاها إلى أصحاب رسول الله ﷺ وناس من بعده ﷺ من الرجال والنساء هو رؤية الحبيب المصطفى ﷺ بأهلهم ومالهم وأنفسهم .

وفي هذا المعنى ذكر القرطبي : ١٧٥/٥ عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ النساء : ٦٩ حيث قال :

وقالت طائفة : إنما نزلت هذه الآية لما قال عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري — الذي أري الأذان -: يا رسول الله ، إذا مت ومتنا كنت في عليين لا نراك ولا نجتمع بك ؛ وذكر حزنه على ذلك فنزلت هذه الآية.

وذكر مكي عن عبد الله هذا وأنه لما مات النبي ﷺ قال : اللهم أعمني حتى لا أرى شيئا بعده ؛ فعمي مكانه . وحكاه القشيري فقال : اللهم أعمني فلا أرى شيئا بعد حبيبي حتى ألقى حبيبي ﷺ فعمي مكانه .

وحكى الثعلبي أنها نزلت في ثوبان مولى رسول الله ﷺ، وكان شديد الحب له ، قليل الصبر عنه ﷺ، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحِل جسمه ، يُعرف في وجهه الحزن ، فقال له : ((يا ثوبان ما غيّر لونك ؟)) فقال : يارسول الله ! ما بي ضرّ ولا وجعٌ غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك ، واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك ؛ لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين ، وأني إن دخلت الجنة كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك ، وإن لم أدخل فذلك حين لا أراك أبداً ؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية ، ذكره الواحدي عن الكلبي انتهى ما ذكره القرطبي رحمه الله .

وأخرج البخاري في الأدب ص ٧٨عن القاسم بن محمد أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ذهب بصره فعاده رجل فقال : كنت أريدهما لأنظر إلى النبي ﷺ، فأما إذا قبض النبي ﷺ فوالله ما يسرني أن ما بهما بظبي من ظباء تبالة .

قولـه تبالـه : بلـد بـاليمن (والظـبي : الغـزال)
وأخرجه ابن سعد في الطبقات : ٢/٨٥ عن القاسم ونحوه .

وذكر القاضي في الشفا : ٢/٢٣ حيث قال : ويـروى أن امرأة قالت : لعائشـة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا اكشـفي لـي قـبر رسـول الله ﷺ فكشفتـه لها ، فبكت حتى ماتت . انتهى

وأخرج ابن المبارك وابن عساكر عن زيد ابن أسلم قـال : خـرج عمـر بـن الخطـاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ليلـة يحـرس فـرآى مصـباحاً في بيـت فـدنى ، فـإذا عجـوز تطـرق شـعراً لهـا لتغزله - أي تنفشه بقدح - وهي تقول :

على محمد صـــلاة الأبـــرار

صلى عليك المصطفون الأخيار

قد كنت قواماً بَكي الأسحـــار

يا ليت شعـــري والمنايا أطـوار

هل تجمعني وحبيـبي الـــدار ﷺ

تعـني الـنبي ﷺ - فجلس عمـر يبـكي ، فمـا زال يبـكي حتى قرع الباب عليها فقالت : من هذا ؟ قـال : عمـر بـن الخطاب ! فقالت : وما لـي ولعمـر؟ ومـا يـأتي بعمـر هـذه السـاعة ؟ قـال : افتحـي رحمـك الله فـلا بـأس عليـك ! ففتحت له ، فدخل فقـال : ردّي علـيّ الكلمـات الـتي قلـتِ

آنفاً ! فردتها عليه ، فلما بلغت آخره قال : **أسألك أن تدخلني معكما ! قالت :**

وعمـــر فاغفـــر له يا غـــفار

فرضي (عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ورجع .كذا في منتخب الكنز (٣٨١/٤) .

أيها الراقصون ! عى صوت العـود والبيـانو

ودندنتـه ألا ! هـذه هـي الأشـياء الـتي جـديرة بالـذكر وجديرة أن نفدي بها أنفسنا ، وهـذا هـو الحب الحقيقـي للـنبي ﷺ بـأن النسـاء والرجـال مـن أصـحاب الرسـول ﷺ وغيرهم من بعده ﷺ ، كانوا يحبونه أشد الحب ، وفـدوا رسـول الله ﷺ بـأموالهم وأنفسـهم وقـاتلوا في محبتـه ﷺ آبـاءهم وأبنـاءهم وإخـوانهم وعشـيرتهم ، ولازمـوه ولم يطيقـوا فراقـه ولم يصـبروا عنـه ولـيس لـديهم غـرض للعيـون إلا رؤيـة وجـه الحبيـب المصطفى صلوات الله وسلامه عليـه وقـراءة القـرآن ، ولـيس لـديهم غرض للآذان إلا الاستماع إلى أحكام الله ورسوله ﷺ كي يعملوا بها ، وليس لديهم غرض للأيـدي إلا أخـذ القـرآن الكـريم وكتـب الحـديث ومقـام الملتـزم والحجـر الأسـود ، وأخذ كل ما أخذه ولمسه المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ مـن الحـــلال والمباح واكتساب الخـــيرات .

وفقني الله وإياكم لذلك .

هدية الزائر والمقيم

قال أبو طلحة : من أراد أن يسلم على النبي ﷺ عند الزيارة ، فعليه أن يزين ذهنه ويحضر فيه كمال حسنه وجمال صورته ﷺ كما تقدم ، وذلك للحصول على التوجه التام وزيادة في السرور والحبور في الصلاة والسلام على النبي ﷺ ، فالعامل على هذه الصفة يحس الفرق واضحاً بين هذه الزيارة والتي قبلها. وهذا مجرب مفيد إن شاء الله .

الباب الثاني

أذكر فيه بعض القصص المتعلقة بأخلاق المصطفى ﷺ من كرمه وكثرة احتماله وكظمه الغيظ ، وعفوه وصفحه ، وجوده وسخائه ورفقه بأمته وتواضعه ﷺ . فإن في القصص إنذار وتبشير ، وتبصرة وتذكير ، وأحكام وحكم ، أخبار وعبر ، أخلاق وآداب ، مواعظ ونصائح للعقلاء ، يرغب فيها كل مؤمن ومؤمنة ، ويحتاج إليه كل مسلم ومسلمة

قال تعالى : ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ (هود : ١٢٠)

ومن أجل ذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ فقال : ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف : ١٧٦).

هـل البـاب مغـلق ؟

إذا كانـت خصـال الكمـال والجـلال مـا ذكرنـاه ، ورأينـا الواحد منا يتشرّف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقتْ لـه في كل عصر إما من نسب أو جمال أو قوة أو علـم أو حلـم أو شجاعة أو سماحـة حتـى يَعظُـم قـدرُه ويُضـرب باسمـه الأمثال ويتقرر له بالوصف لذلك في القلوب أثرَة وعظَمةٌ وهـو منـذ عصـور خـوالٍ رِمَـمٌ بَوَالٍ ، فمـا ظنـك بعظـيم قدر من اجتمعتْ فيـه كل هـذه الخصـال إلى مـا لا يأخـذه عـدٌّ ولا يعَبّـرُ عنـه مقـال ولا ينـال بكسـب ولا حيلـة إلا بتخصيص الكبير المتعـال .(مقتبس من الشفا)

أيهـا المحـبُّ لهذا الـنبي الكـريم ﷺ والباحـث عـن خُلُقـه العظـيم فـا عـلـم نـوّر الله قلـبي وقلبـك ، وضاعـف في هـذا النبي الكريم ﷺ حبي وحبك :

إنـك إذا وقفـتَ علـى شمائـل هـذا الحبيـب ﷺ الـتي يعظم قـدرها ويُضرب بها الأمثـال ، ومـا استفدت منها بشـيء ، ومـا وُفقتَ لهـا، ومـا زيَّنـتَ قلبـك ونفسك بهـذه الشمائل الكريمة والخلق العظيم : فاعـلم أن الباب مغـلق ويخشى أن يصدق على مثـله قوله تعالى : ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّـرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ (المائدة : ٤١). نعـوذ بـالله مـن ذلك ، وفي هذا المعنى قال إبراهيم فوده رحمه الله :

من يدّعي حب النبي ولم يفـد ... مـن هـديه فسفاهـة وهـراء
الحـب أول شـرطـه إن كـان ... صـدقاً : طاعـة ووفـاء

وفقني الله وإياك لأسـوة المصطفى الحبيب ﷺ

القصص التي تملأ صدور المحبّين وتتضاعف محبتهم له ﷺ إن شاء الله

فإن الله تعالى أرسل المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، فاختار لذلك محمداً ﷺ من بين الناس على علم ، وأعده لهذه الغاية العظيمة والمهمة الجسيمة ، فأدبه فأحسن تأديبه ، وعلمه فأحسن تعليمه ، وزكاه وطهّره ، وجمع له من حسن الهيئة ووقار السمت ، وجميل الأدب ، ونبيل الخلق وسعة الصدر ، فسبحان من أبدعه على هذا المنهج وجعله قدوة العالمين وأسوة الصالحين .

قال تعالى : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الأحزاب : ٢١) .

وقد حرص أصحاب النبي ﷺ ، وهم الذين عاينوا سيرته ، وابتلوا عشرته ، فتفيّؤا ظلال خلقه الكريم وأدبه العظيم على أن ينقلوا إلى أجيال المسلمين من بعدهم ما رأوا من حاله ، وما سمعوا من مقاله أداء لرسالة العلم وأمانة تبليغ الدين . (مقتبس من مقدمة كتاب ((اخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآدابه)) للأصبهاني رحمه الله .



فإليك بعض القصص من هذه السيرة المباركة الطاهرة والمطهرة - على صاحبها الصلاة والسلام - وقد ذكرها أصحابه الذين عاينوها رضي الله عنهم أجمعين .

فكر المصطفى ﷺ وشدة اهتمامه في مغفرة رجل من أمته ولو كان منافقاً ومؤذيا له ﷺ

روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي سلول ، دعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه ، فلما قام رسول الله ﷺ وَثبتُ إليه ، فقلت: يا رسول الله ! أتصلّي على ابن أبيٍّ وقد قال يوم كذا وكذا ، قال: أعَددُ عليه قوله، فتبسم رسول الله ﷺ ، وقال : أخر عني يا عمر ، فلما أكثرتُ عليه ، قال: إني خيرت فاخترت ، **لو أعلم إن زدتُ على السبعين يغفر له لزدتُ عليها** ، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ ، ثم انصرف ، فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (التوبة : ٨٤) قال : فعجبتُ بعدُ من جرأتي على رسول الله ﷺ . (البخاري ٦/٨٥) .

وفي رواية أخرى لأحمد والبخاري كما ذكرها الحافظ ابن كثير في تفسيره : ٢/٣٧٩-٣٨٠ : حيث قال :

(.. وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ... عن جابر رضي الله عنه قال : لما مات عبدالله ابن أبيّ أتى ابنه النبي ﷺ فقال يا رسول الله ! إنك إن لم تأته لم نزل نعير بهذا ، فأتاه النبي ﷺ فوجده قد أدخل في حفرته فقال «أفلا قبل أن تدخلوه ؟» فأخرج من حفرته وتفل عليه من ريقه من قرنه إلى قدمه وألبسه قميصه ؛..») .

ورواية البخاري: فعن جابر بن عبدالله قال : أتى النبي ﷺ عبدَالله بن أبيّ بعد ما أدخل في قبره فأمر به ، فأخرج ووضع على ركبتيه ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه . والله أعلم . انتهى ما ذكره ابن كثير رحمه الله .

وذكر القرطبي : ١٧/١٩٩ في تفسير قوله تعالى :

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة : ٢٢) حيث قال :

قال السدي: نزلت في عبدالله بن عبدالله بن أبيّ جلس إلى النبي ﷺ فشرب النبي ﷺ ماءً ، فقال له : بالله يا رسول الله ! ما أبقيتَ من شرابك فضلة

أسقيها أبي، لعل الله يطهّر بها قلبه ؟ فأفضل له فأتاه بها ، فقال له عبد الله : ما هذا ؟ فقال : هي فضلة من شراب النبي ﷺ جئتك بها تشربها لعل الله يطهّر قلبك بها ، فقال له أبوه ـ أبيّ ـ : فهلا جئتني ببول أمك فإنه أطهر منها . فغضب ـ ابنه عبدالله ـ وجاء إلى النبي ﷺ ، وقال : يارسول الله ! أما أذنتَ لي في قتل أبي ؟ فقال النبي ﷺ : «بل ترفق به وتحسن إليه» . انتهى .

وهناك قصة أخرى لنبينا عليه الصلاة والسلام حينما خرج للدعوة والإرشاد إلى رئيس المنافقين ومتبعيه مع رجال من المسلمين فأصابهم ما أصاب فصبر على ما أصابه ﷺ من قولهم وفعلهم فعفى عنهم .

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قيل للنبي ﷺ لو أتيت عبد الله بن أبيّ ؟ قال : فانطلق إليه ، وركب حماراً ، وانطلق المسلمون ، وهي أرض سبخة ، فلما أتاه النبي ﷺ قال : إليك عني ، فوالله لقد آذاني نتن حمارك قال : فقال رجل من الأنصار : والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك ، قال : فغضب لعبدالله رجل من قومه ، قال : فغضب لكل واحد منهما أصحابه ، قال : فكان بينهم ضرب بالجريد والنعال وبالأيدي ، قال : فبلغنا أنها نزلت : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ (الحجرات : ٩) . (مسلم مع النووي رقم : ٤٦٣٨) .

قـــال أبـو طلحـة : ولقـد اتسـع خلقـه ﷺ للمنـافقين والمنافقـات ، فحلـم علـيهم واحتملـهم وصـبر علـى أذاهـم ومكـرهم . وكـان كلمـا أذن لـه في التشـديد عليهم ، فـتح لهم بابـا مـن الرحمـة ، فكـان يسـتغفر لهـم ويدعو لهـــم ، قـــبل أن يُنه عن ذلك ، فلما نُهي كـــف عن الاستغفار .

هذه الشفقة والرحمة والرفق - مع أعداءه ﷺ -: من أخلاقه الحميدة ، وشمائلـه الفريـدة - يفـدى لها - وهي التي زينه الله تعالى بها (صلوات الله وسلامه عليه) .

ويظهر من هذا المذكور شدة اهتمامه ﷺ في باب الـدعوة إلى رب العـالمين وسعيه في إصـلاح أمتـه ، وطمعـه وحـرصه ﷺ في إخـراجها مـن الظلمـات إلى النـور ، ومـن نـار الجحيم إلى جنة نعيم .

فـوالله لو كان الأمـر بيـده ﷺ ليلقـى عليـه - أي عـلـى أبيّ - محبـة منه ﷺ ، بـل يلقي قلبه في قلبه ، ولا يكتفى على القميص ، وتفل الريق عليه من قرنـه إلى قدمـه فقـط ، ولكن الأمـر بيـد الله ، ولـيس لـه ﷺ مـن الأمر شيء قال تعالى :

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (آل عمـران : ١٢٨) وكـــذلك القلـــوب بيـــد الله يقلبها كيف يشاء . انتهى .

قصته ﷺ مع حبر من أحبار اليهود

ومن شمائله ﷺ أنه كان يعفو عند القدرة ، ويحلم عند الغضب ، ويحسن إلى المسيء ، وقد كانت هذه الأخلاق العالية من أعظم الأسباب في إجابة دعوته والإيمان به ﷺ واجتماع القلوب عليه ، ومن ذلك ما فعله ﷺ مع زيد بن سعنة : أحد أحبار اليهود وعلمائهم الكبار .

روى الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي وغيرهم برجال ثقات عن عبد الله بن سلام عن زيد بن سعنة أجل أحبار اليهود الذين أسلموا ، وأكثرهم علما ومالاً ، قال : إنه لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه ، إلا اثنتين لم أخبرهما منه ، يسبق حلمه جهله ، ولا تزيده شدةُ الجهل عليه إلا حلماً ، فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرفَ حلمه ، فابتعت منه تمرا معلوماً ، إلى أجل معلوم وأعطيته الثمن فلما كان قبل محلِّ الأجل بيومين أو ثلاثة ، أتيته فأخذتُ بمجامع قميصه وردائه ، ونظرتُ إليه بوجهٍ غليظ ، فقلتُ : يا محمد ! ألا تقضيني حقي ؟ فو الله إنكم يا بني عبد المطلب لَمُطلٌ ، وقد كان لي بمخالطتكم علم ، فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أي عدو الله ! أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع ، فوالله لولا

ما أحاذرُ فوته لضربت بسيفي رأسك ، ورسول الله ﷺ ينظرُ إلى عمر في سكـــون وتؤدةٍ وتبســـم ، ثـم قـــال : « أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر ! تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسنِ التباعة - المطالبة بالحق - اذهـــب يا عمر، فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رُعته » ففعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فقلت - أي زيد - يا عمر ! كل علامات النبوة ، عرفتها في وجه رسول الله ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما ، فقد خبرتهما ، فأشهدك أني رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا . (الزرقاني على المواهب اللدنية ٤/٢٥٢).

فاختبره ﷺ زيدُ بن سعنة بهذه الحادثة كما وُصف ، فأسلم وآمن وصدق ، وشهد مع النبي ﷺ مشاهده ، واستشهد في غزوة تبوك مقبلا غير مدبر (الإصابة ٥٦٦/١) .

قلت : والحديث المذكور أورده الأصبهاني في أخلاق النبي ﷺ بطرق مختلفة . وذكر في هامشه : (حديث) حسن أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢١٠٥ - موارد) والحاكم في مستدركه ٣/ص٦٠٤ ، وأبو نعيم في الدلائل كما ذكره ابن كثير في سيرته (ج١/ص٢٩٥) .. وقال في آخره : وأشار الحافظ ابن حجر إلى هذا الحديث في ترجمة حمزة بن يوسف بن عبدالله بن سلام قال : «هو حديث حسن مشهور في دلائل النبوة» انتهى .

وأنا أبكي من الفرح

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يوما - أي إلى الإسلام ومتابعة سيد الأنام ﷺ - فاسمعتني في رسول الله ﷺ - أي في شأنه - ما أكره ، فأتيت رسول الله ﷺ أبكي - أي من الحزن حيث لم أقر على تأديبها لأنها أمي - قلت : يا رسول الله ! أدع الله أن يهدي أم أبي هريرة . فقال : «اللهم اهد أم أبي هريرة» فخرجت مستبشراً بدعوة النبي ﷺ ، فلما صرت إلى الباب - أي باب بيت أمي - فإذا هو - الباب - مجاف - أي مردود - فسمعت أمي خشف قدميَّ - أي صوتهما - فقالت : مكانك يا أبا هريرة وسمعتُ خضخضة - أي تحريكه أو صوته - فاغتسلت ولبست درعها - أي قميصها - وعجلت عن خمارها - أي تركت خمارها من العجلة - ففتحت الباب ، ثم قالت : يا أبا هريرة ! أشهد أن لا إله إلا الله أن محمدا عبده ورسوله، فرجعت إلى رسول الله ﷺ وأنا أبكي من الفرح فحمد الله وقال خيراً» . (متفق عليه كما في المشكاة كتاب الشمائل رقم الحديث : ٥٨٩٦) .

وفي آخر هذا الحديث كما في رواية مسلم : قـال ـ أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قلت : يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهَدَى أمَّ أبي هريرة ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : «خيرا» قال : قلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يحبِّبَني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويُحبِّبَهم إلينا ، قال فقال رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اللهم حبب عبيدك هذا ـ يعني أبا هريرة ـ وأمه إلى عبادك المؤمنين ، وحبِّب إليهم المؤمنين» فما خُلِق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني» (صحيح مسلم رقم الحديث : ٤٥٤٦ ـ كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين) .

قوله : «**وعجلتْ عن خمارها**» أي تركت خمارها من العجلة ، وفي هامش المشكاة ٣/ص ١٦٥٤:

(هذا ، وفي الحديث إشارة إلى ما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ من الحشمة والأدب . فهذه أم أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ودت أن لا تظهر أمام ابنها إلا متخمرة لو لا العجلة ، فأين هذا من حال أكثر النساء اليوم اللاتي يظهرن أمام أقاربهن من الرجال الذين ليسوا محرماً لهن باديات الشعور والنحور ، والأفخاذ والصدور، فإلى الله المشتكى مما وصل إليه الحال : من قلة الحياء في النساء ، والغيرة من الرجال) اهـ

وهــذه معجــزة أخـــرى لــه ﷺ

في إجابة دعوته في حينه في حق أبي هريرة نفسه رضي الله عنه

فروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إنكم تقولون : أكثر أبو هريـرة ـ أي الروايـة ـ عـن الـنبي ﷺ والله الموعــد ، وإن إخــوتي من المهــاجرين كان يشغلهم ـ يمنعهم ـ الصفق بالأسواق ـ أي البيع والشراء ـ وإن إخوتي مــن الأنصـار كـان يشغلهم عمـل أمـوالهم ـ يريـد انهـم أصحاب زراعة ـ وكنت امرءاً مسكينا ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني وقال النبي ﷺ يوماً : « لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمعه ـ أي يضم ثوبه ـ إلى صدره فينسى من مقالتي شئاً أبـداً» . فبسطت نمـرة ـ أي شملـة مخططـة ـ لـيس علـيّ ثـوب غيرهـا حتـى قضى الـنبي ﷺ مقالتـــه ، ثـم جمعتهـا إلى صـــدري ، فو الذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالتـه ذلـك إلى يـومي هـذا .(متفـق عليـه ، كمـا في المشكاة كتـاب الشـمائل رقـم الحـديث : ٥٨٩٦ ، وأورده البخاري في صحيحه برقم : ٢١٧٩ في كتاب المزارعة).

قوله : «والله الموعد» أي موعدنا ، فيظهـر عنـده صدق الصادق وكذب الكاذب لأن الاسرار تنكشف هناك). (كما في المرقاة) .

خبز واحد كفى للقوم بدعائه ﷺ

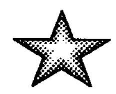
روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال : قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شي ؟ فقالت : نعم ، فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخرجت خماراً لها فلفّت الخبز ببعضه ثم دسّته - أي أخفته - تحت يدي ولا ثتني - أي لفت علي بعض الخمار عمامة - ببعضه ، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ ، فذهبت به ، فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد - هو الموضع الذي أعده النبي ﷺ للصلاة في غزوة الخندق - ومعه الناس - وهم ثمانون رجلا - فسلمت عليهم ، فقال لي رسول الله ﷺ : أرسلك أبو طلحة ؟ قلت : نعم ، قال : بطعام ؟ قلت : نعم ، فقال رسول الله ﷺ لمن معه : «قوموا» ، فانطلق - النبي ﷺ والناس معهم - وانطلقتُ بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة ، فأخبرته ، فقال أبو طلحة يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم - أي غير ما أرسلناه إليه ﷺ - فقالت الله ورسوله أعلم ، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه - أي حتى دخلا على أم سليم والناس ورائهما - فقال ﷺ : «هلمّي

يا أم سليم - أي عجلي وأحضري - ما عندك» - من الخبز - فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله ﷺ - أي بتفتيت الخبز - ففتت - أي جعل فتيتا أي قطعاً صغاراً مفتوتا - وعصرت أم سليم عكة فأدمته - أي جعلت ما خرج من العكة وهو السمن إداماً لذلك الفتيت - ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول - أي من الدعاء - ثم قال : «ائذن لعشرة» فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا ، ثم قال : «ائذن لعشرة ثم لعشرة» ، فأكلوا القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا .

(متفق عليه ، كما في المشكاة كتاب الشمائل باب المعجزات رقم الحديث ٥٩٠٧) . ، وأورده البخاري في صحيحه برقم : ٣٣١٣ في كتاب المناقب).

وفي رواية للبخاري: قال : «ادخل عليّ عشرة حتى عد أربعين ثم أكل النبي ﷺ ، فجعلتُ أنظر هل نقص منها شيء» .

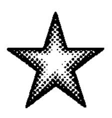
وفي رواية لمسلم : «ثم أخذ ما بقي فجمعه ثم دعا فيه بالبركة فعاد كما كان فقال - أي لأهل البيت - : دونكم هذا - أي خذوه . (المصدر السابق) .



لمّا مر رسول الله ﷺ بخيمة أم معبد قالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك

ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد ٣/٥٥ حيث قال : ثم مرّ رسول الله ﷺ في مسيره ذلك حتى مر بخيمتيْ أمّ معبد الخزاعية - أي حين مر النبي ﷺ بخيمتها مهاجراً - وكانت امرأة بَرْزَةً جلْدَةً تحتبي بفناء الخيمة ، ثم تطعم وتسقي من مر بها ، فسألاها - أي رسول الله ﷺ وأبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - هل عندها شئ ؟ فقالت : والله لو كان عندنا شئ ما أعْوَزَكم القِرى ، والشاء عازب - أي بعيدة المرعى - ، وكانت سنة شهباء ، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كِسر الخيمة - أي جانبها فقال : ما هذه الشاة يا أمّ معبد ؟! قالت : شاة خلفها الجَهْدُ عن الغنم ، فقال : هل بها من لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذلك ، فقال : أتأذنين لي أن أحلبَها ؟ قالت : نعم بأبي وأمي ، إن رأيت بها حلباً فاحْلُبها ، فمسح رسول الله ﷺ بيده ضَرعَها ، وسمّى الله ودعا، فتفاجّت عليه - أي فرجتْ ما بين رجليها - ودرّتْ ، فدعا بإناء لها يُربضُ الرهط - أي يرويهم ويثقلهم - فحلب فيه حتى علته الرغوة ، فسقاها فشربت حتى رَوِيَتْ ، وسقى

أصحابه حتى روَوْا ، ثم شرب ، وحلب فيه ثانياً ـ سبحان الله ـ حتى ملأ الإناء ، ثم غادره عندها ، فارتحلوا ، فقلّما لبثتْ أن جاء زوجها : أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً ، يتساوكنَ هُزالاً ـ أي يتمايلن من شدة ضعفهن ـ لا نقِي بهن ـ والنقي هو مخ العظم ـ فلما رأى اللبن ، عجبَ فقال ـ أبو معبد ـ : مِن أين لكِ هذا ـ اللبن ـ ؟ والشاة عازب ـ أي بعيدة المرعى ـ فقالت: لا والله ، إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت ، ومن حاله كذا وكذا ، قال : والله إني لأراه صاحبَ قريش الذي تطلُبه ، صفِيه لي يا أمّ معبد ، قالت : ظاهر الوضاء ، أبلج الوجه إلى آخر الحديث ـ وقد تقدم بقية هذه القصة مع تخريجها : ـ حديث حسن ـ في صفحة رقم ٧٩ من هذه الرسالة . ارجع إليه إن شئت .



رأيتُ الماء ينبع من بين أصابعه ﷺ

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنا نعد الآيات - أي المعجزات والكرامات - بركة ، وأنتم تعدونها تخويفاً كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فقلّ الماء فقال : «اطلبوا فضلةً من ماء» فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ، ثم قال : حيَّ على الطهور المبارك ، والبركة من الله» ولقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل» . (رواه البخاري كما في المشكاة رقم : ٥٩١٠ ، كتاب الفضائل والشمائل) .

وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ وأصحابه بالزوراء - قال : والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد ثمة - دعا بقدح فيه ماء فوضع كفه فيه ، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ، فتوضأ جميع أصحابه قال : قلت : كم كانوا يا أبا حمزة !؟ قال : كانوا زهاء الثلاثمائة» (أي مقدارها) . (رواه البخاري في كتاب المناقب «باب علامات النبوة في الإسلام ، ومسلم رقم ٥-٧ كتاب الفضائل باب معجزات النبي ﷺ) .زاد في رواية : «فجعلت أبادر إلى الماء أدخله في جوفي لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : البركة من الله»

وهذه الزيادة عند أحمد في المسند : ٤٦٠/١ وأورده الحافظ في الفتح : ٥٩٢/٦) .

أفضل المياه : ما نبع من بين أصابعه ﷺ حتى إنه أفضل من ماء الكوثر

قوله : «فجعل الماء ينبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم » ـ كما تقدم ـ : ذكر الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي رحمه الله في «لامع الدراري على جامع البخاري» ١٩٦/٥ وقال : أجمع العلماء على أن ماءها ـ المراد به ماء زم زم أفضل مياه الدنيا إلا ما نبع من أصابع رسول الله ﷺ ، وهل ماء زم زم أفضل من ماء الكوثر أيضاً ، اختلفوا فيه فمنهم من قال : لا .

ثم قال رحمه الله : وذهب أهل التحقيق إلى كونه أفضل منه أيضاً أخذا مما روي في قصة المعراج من غسل الملائكة صدر رسول الله ﷺ بمائها ، فلو كان ماء الكوثر أفضل منه لجيء به كما لا يخفى اهـ .

وفي شرح الأشباه: إذا سُئلت ما أفضل المياه ؟ فقل : ما نبع من أصابعه ﷺ ، وعلى هذا قال بعض الفضلاء نظماً وقد أجاد :

أفضل المياه ما قد نبع
بين أصابع النبي ﷺ المتبع
فماء زمزم فماء الكوثر
فنيل مصر ثم باقي الأنهر

انتهى ما في «لامع الدراري على جامع البخاري»

وذكر القاري في المرقاة ١٢٣/١١ وقال : استدل به - أي بغسل قلب النبي ﷺ بماء زمزم - على أنه أفضل مياه العالم حتى ماء الكوثر ، لكن الماء الذي نبع من بين أصابعه ﷺ فلاشك أنه أفضل المياه على الاطلاق لكونه من أثر يده الشريفة ، وماء زمزم من أثر قدم إسماعيل المنيفة ، وبون بيّن بينهما ، ولأن الاعجاز الكائن في يده ﷺ أبلغ ، نعم قد يقال : ماء فمه المبارك أكمل من الكل ولو مزج بماء غيره ، ولعل العارف بن الفارض أشار إليه بقوله :

عليك بها صرفاً وإن شئت مزجها
فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

انتهى ما في المرقاة



هـذا سيـد العالمين ، هـذا رسـول رب العـالمـين يبعثه الله رحمة للعالمين (عليه الصلاة والتسليم)

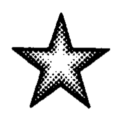
عن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قـال : خـرج أبـو طالـب إلى الشـام ، وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهـب ـ اسمـه بحيراء ـ هبَطوا فحلوا رحـالهم ـ في ذلـك الموضع وهـو بصـرى مـن بـلاد الشـام ـ فخـرج إلـيهم الراهـب وكـانوا قبـل ذلـك يمـرون بـه ـ أي بمكانـه ـ فـلا يخـرج إليهم ـ الراهبُ ـ قال : فهم يحلون رحالهم ، فجعـل يتخللهم الراهب ـ أي أخذ يمشي فيمـا بـين القـوم ويطلـب في خلالهم شخصاً ـ حتى جاء فـأخذ بيـد رسـول الله ﷺ قال : **هـذا سيـد العالمـين ، هـذا رسـول رب العـالمين يبعثه الله رحمـة للعالمين** . فقال لـه أشياخ مـن قـريش : ما علمك ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم مـن العقبـة لم يبـق شـجر ولا حجـر إلا خـر سـاجداً . ولا يسـجدان إلا لـنبي ، وإنـي أعـرفه بخاتم النبوة أسفل مـن غُضـروف كتفـه مثـل التفاحـة، ثـم رجـع ـ الراهـب ـ فصـنع لهـم طعامـاً ، فلمـا أتـاهم بـه ـ أي بالطعـام ـ وكـان هـو ـ أي النبي ﷺ ـ في رعية الإبل ، فقال ـ الراهب ـ : أرسلوا إليه ـ أي فـإن المـدار عليـه ﷺ ـ فأقبـل ـ أي النبـي ﷺ ـ وعليـه غمامـة تظلـه . فلمـا دنـا ـ أي قـرب ـ مـن القـوم

وَجَدَهم - أي وجد النبي ﷺ القوم - قد سبقوه إلى فيء شجرة ، فلما جلس - النبي ﷺ - مال فيء الشجرة عليه ﷺ ، فقال - الراهب للقوم - : انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه ، فقال : أنشدكم الله أيكم وليه - أي قريبه - قالوا : أبو طالب . فلم يزل - الراهب - يناشده حتى رده أبو طالب . وبعث معه أبو بكر بلالا ، وزوّده الراهب من الكعك والزيت» . (رواه الترمذي ، وقال حديث حسن غريب .

قلت - الألباني - : ورجاله ثقات ، والحديث صحيح ...

(ينظر المشكاة رقم الحديث : ٥٩١٨ كتاب الفضائل والشمائل ، باب في المعجزات) .

قوله: «فلم يزل - الراهب - يناشده» أي يناشد أبا طالب ويطالب رده عليه الصلاة والسلام خوفاً عليه من أهل الروم أن يقتلوه في الشام ، ويقول لأبي طالب : بالله عليك أن ترد محمداً إلى مكة وتحفظه من العدو (كما في المرقاة ٢٠٨/١١) .



صور من عشرته ﷺ مع أزواجه رضي الله عنهن

ذكر ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد ١/ ١٥٠ حيث قال : صح عنه ﷺ من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال : «حبّب إليّ من دنياكم : النساء ، والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة» أخرجه النسائي ٧/١٦ وأحمد في المسند ٣/١٢٨ وسنده حسن وصححه الحاكم ٢/ ١٦٠ ووافقه الذهبي .

وكان النساء والطيب أحب شيء إليه ﷺ ، وكان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة ، وكان قد أعطي قوة ثلاثين في الجماع وغيره ، وأباح الله له من ذلك ما لم يبحه لأحد من أمته ﷺ . وكان يقسم بينهم في المبيت والإيواء والنفقة ، وأما المحبة فكان يقول : «اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما لا أملك» .

أخرجه الترمذي في النكاح رقم : ١١٠٤ وأبوداود رقم : ٢١٣٤ والحاكم في المستدرك ٢/١٨٧ وصححه ووافقه الذهبي .

وقيل : هو الحب والجماع ، ولا تجب التسوية في ذلك لأنه مما لا يملك

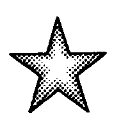
وكان يسرّب إلى عائشة رضي الله عنها بنات الأنصار يلعبن معها ، وكان إذا هويت شيئاً لا محذور فيه تابعها

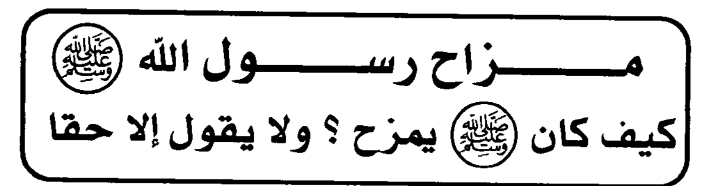
عليه ، وكانت إذا شربت من الأناء أخذه فوضع فمه في موضع فمها وشرب ، وكان إذا تعرقت عرقاً - وهو العظم الذي عليه اللحم - أخذه فوضع فمه موضع فمها ، وكان يتكئ في حجرها ، ويقرأ القرآن ورأسه في حجرها ، وربما كانت حائضاً ، وكان يأمرها وهي حائض فتتزر ثم يباشرها ، وكان يقبلها وهو صائم ، وكان من لطفه وحسن خلقه مع أهله أنه يمكنها من اللعب ، ويريها الحبشة وهم يلعبون في مسجده وهي متكئة على منكبيه تنظر ، وسابقها في السفر على الأقدام مرتين ، وتدافعاً في خروجهما من المنزل مرة ، وكان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، ولم يقض للبواقي شيئاً ، وإلى هذا ذهب الجمهور ، وربما مد يده إلى بعض نسائه في حضرة باقيهن (صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهن) .

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : «كان للنبي تسع نسوة ، فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا في تسع ، فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها ، فكان في بيت عائشة ، فجاءت زينب فمد يده إليها ، فقالت : هذه زينب فكف النبي ﷺ يده» . (رواه مسلم في صحيحه رقم : ٤٦٢) .

وكان إذا صلى العصر دار على نسائه ، فدنا منهن واستقرأ أحوالهن ، فإذا جاء الليل انقلب إلى بيت صاحبة النوبة فخصها بالليل .

قالت عائشة رضي الله عنها : لا يفضل بعضنا على بعض في مُكثه عندهن في القَسم ، وقلّ يوم إلا كان يطوف علينا جميعاً ، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ التي هو في نوبتها ، فيبيت عندها» (أخرجه أبو داود في النكاح رقم ٢١٣٥) . انتهى ما ذكره ابن القيم - رحمه الله تعالى - في زاد المعاد بحذف واختصار) .





أخرج الترمـذي في الشمائل ص ١٧ عـن أبـي هريـرة رضي الله عنه قـال : قـالوا : يـا رســول الله ، إنـك تداعبنـــا ، قـــال : «إنـي لا أقـول إلا حقـا» . وأخـــرجـــه البخاري في الأدب (ص١٤) عـــن أبي هريرة رضي الله عنه مثله .

مزاحـه ﷺ مع رجل مـن أصحابه رضي الله عنهم

وعـــن أنس بن مالـك رضي الله عنه أن رجـلا اسـتحمل رسـول الله ﷺ فقال : «إني حاملـك على ولـد الناقـة» فقـــال : يـا رســول الله ، ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله ﷺ : «وهل تلد الإبل إلا النوق» .

(رواه الترمذي (البر والصلة رقم : ١٩١٤) ، وقـال : هـذا حـديث حسن صحيح غريب) . وأحمد في مسنده رقم : ١٣٣١٥) . وأبو داود رقم : ٤٣٤٦) .

مزاحـــه ﷺ مع امـــرأة عجوز

وأخرج الترمـذي في الشمائل (ص ١٧) عـن الحسـن رضي الله عنه قال : أتـت عجوز الـنبي ﷺ فقالـت : يـا رســـول الله !

ادع الله أن يدخلني الجنة ، فقال : يا أم فلان ! إن الجنة لا تدخلها عجوز» قال : فولت تبكي ، فقال : أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز ، إن الله تعالى يقول : ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾ (الواقعة : ٣٦) .

مزاحه ﷺ مع زاهر رضي الله عنه

وأخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً - رضي الله عنه - وكان يُهدي النبي ﷺ الهدية من البادية فيجهزه النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج فقال رسول الله ﷺ : إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه ، وكان رسول الله ﷺ يحبه ، وكان رجلا دميماً ، فأتاه رسول الله ﷺ وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه ولا يبصره الرجل فقال - زاهر رضي الله عنه - : ارسلني مَن هذا ؟ فالتفت فعرف النبيَ ﷺ ، فجعل لا يألو - أي لا يقصر - ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه ، وجعل رسول الله ﷺ يقول : مَن يشتري - هذا - العبد ؟ فقال : يا رسول الله ، إذن واللهِ تجدني كاسداً ، فقال رسول الله ﷺ : لكن عند الله لستَ بكاسد ، أو قال : لكن عند الله أنت غالٍ» .

قال صاحب «حياة الصحابة رضي الله عنهم ٣ / ١٨٠ » الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمه الله : هذا إسناد رجاله كلهم ثقات، على شرط الصحيحين ولم يروه إلا الترمذي في الشمائل ورواه ابن حبان في صحيحه ، كذا في البداية ٤٦/٦ وأخرجه أيضاً أبو يعلى والبزار ، قال الهيثمي : ورجال أحمد رجال صحيح .

وأخرجه البزار والطبراني عن سالم بن أبي الجعد عن رجل من أشجع يقال له أزهر بن حرام الأشجعي رجل بدوي ، وكان لا يزال يأتي النبي ﷺ بطرفة أو هدية فذكر بمعناه ، قال الهيثمي : ٣٦٩/٩ : رواه البزار والطبراني ورجاله موثقون اهـ.

مزاحه ﷺ مع أسيد بن حضير رضي الله عنه

وعن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أسيد بن حضير رجل من الأنصار قال : بينما هو يحدث القوم ، وكان فيه مزاح ، بينا يضحطهم فطعنه النبي ﷺ في خاصرته بعود فقال : أصبرني فقال : اصطبر ، قال : إن عليك قميصاً ، وليس عليّ قميص فرفع النبي ﷺ عن قميصه فاحتضنه وجعل يقبل كشحه ، قال : إنما أردت هذا يا رسول الله . (ذكره أبو داود في كتاب الأدب رقم الحديث : ٥٤٧) .

مزاح رسول الله ﷺ مع بعض نسائه

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن ، فقال للناس : «تقدموا فتقدموا» ، ثم قال لي : «تعالي حتى أسابقك» فسابقته فسبقته ، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت ، خرجت معه في بعض أسفاره ، فقال للناس : «تقدموا» فتقدموا ، ثم قال : «تعالي حتى أسابقك» فسابقته ، فسبقني ، فجعل يضحك وهو يقول: «هذه بتلك» ، (ينظر مسند أحمد رقم : ٢٥٠٧٥) (وسنن أبي داود رقم : ٢٢١٤ كتاب الجهاد) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ «إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبى» قالت : فقلت : مِن أين تعرف ذلك ؟ فقال : «أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين : لا وربِّ محمد ، وإذا كنت عليَّ غضبى ، قلت : لا وربِّ إبراهيم» قالت قلت : أجل ، والله يا رسول الله ، ما أهجر إلا اسمك» . (صحيح البخاري رقم : ٤٨٢٧ كتاب النكاح . صحيح مسلم رقم : ٤٤٦٩) .

وذكر القرطبي في أحكام القرآن ٢٦٠/٥ عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ

﴿إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ (النساء : ١٢٨) : أن رسول الله ﷺ كان غضب على صفية فقالت لعائشة: أصلحي بيني وبين رسول الله ﷺ ، وقد وهبت يومي لك .

ذكره ابن خويز منداد في أحكامه عن عائشة رضي الله عنها قالت : وجد رسول الله ﷺ على صفية في شيء ؛ فقالت لي صفية : هل لك أن ترضين رسول الله ﷺ عني ولك يومي ؟ قالت : فلبستُ خماراً كان عندي مصبوغا بزعفران ونضحته ، ثم جئتُ فجلستُ إلى جنب رسول ﷺ فقال : «إليك عني فإنه ليس بيومك» . فقلت : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ؛ وأخبرته الخبر ، فرضي عنها .

ثم قال القرطبي : وفيه أن ترك التسوية بين النساء وتفضيل بعضهن على بعض لا يجوز إلا بإذن المفضولة ورضاها . انتهى .

قال أبو طلحة: هكذا كان رسول الله ﷺ مع أزواجه : يرضى عنهن بسهولة ، ويعفو عنهن ، ويقبل عذرهن ، ويصفح صفحاً جميلا . وكان ﷺ يريد بذلك الخير من ربه الذي بيده الخير عملا بقوله : ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ الآية وقد تقدم .

وهكـــذا كانت سيرة أمهاتنـا ـ أمهات المؤمنين ـ : فإن كل واحدة منهن تعين جارتها ـ أي ضـرتها ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ . ومـا كـن رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ مثـل أزواجنـا اليـوم ، بأنــه إذا غضـب الرجل من زوجتــه الأولى تفــرح بذلك الثانية ، وتريـد دوام عـداوتها مـع زوجهـا أو طلاقهـا لكـي تبقـى هـي الوحيدة معها ـ إلا من رحم الله ـ .

وقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ .(الرعد : ٢٥) .

أما نحن معشر الأزواج ـ فإذا وقعت الواقعة بـين الزوج والزوجة ـ ولا مفر من ذلـك ـ وغضـب الـزوج علـى زوجته بسبب ما ، فأراد الناس أن يصلحوا بينهما ، يقول أحدهم : لم أرض عنها حتى تمسك قدميّ وتغسلهما أمـام النـاس . فليس هذا من شمائل النبي ﷺ أيها المحب لهذا النبي ﷺ .

بل قد ورد الخبر عن الـنبي ﷺ قـال : «لا خـير في النسـاء ، ولا صبر عنهن ، يغلبن كريماً ، ويغلبهن لئـيم ، فــأحب أن أكـون كريماً مغلوباً ، ولا أحب أن أكون لئيمـاً غالبـا» ذكـره صـاحب روح المعـاني الجـزء ٥/ص ١٤ عنـد تفسير قوله تعــالى :﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ (النساء : ٨) .

وقال صعصعة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يا أمير المؤمنين ! كيف ننسبك إلى العقل وقد غلب عليك نصف إنسان ! يريد غلبة امرأته فاختة بنت قرظة عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فقال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «إنهن يغلبن الكرام ، ويغلبهن اللئام»

(العقد الفريد ٧/١٠٠ لابن عبد ربه الأندلسي) .

وقال الإمام الغزالي رحمه الله في إحياء علوم الدين ٢/١٠٩ : وليس حسن الخلق معها ـ أي الزوجة ـ كف الأذى عنها ، بل احتمال الأذى منها ، والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوماً إلى الليل اهـ

وما أجمل ما قاله هوميروس الشاعر اليوناني :

«إذا اتخذت امرأة فكن لها أباً وأماً وأخاً ! لأن التي تترك أباها وأمها وإخوتها وتتبعك ، فمن الحق أن ترى فيك رأفة الأب ، وحنو الأم ، ورفق الأخ ، فإذا عملت بتلك النصائح تكن نعم الزوج الموفق» (تحفة العروس ص ١٨٥) .

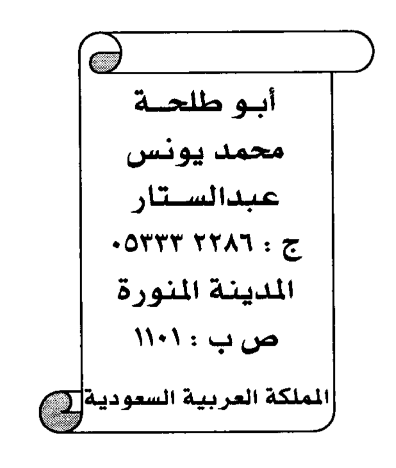
فحري بنا أن نحسن أخلاقنا مع زوجاتنا اتباعاً لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ونمنحهن ما أوجبه الله علينا بكل أمانة وإخلاص لينادي علينا المنادي يوم القيامة :

﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ (الزخرف : ٧٠ـ٧١).

هـذا مجمل ما في المطولات ، فإنا قد أعطيناك عجالة نافعة - إن شاء الله - تستوعبها مدة يسيرة ، ونرجو أن نكون قد قمنا ببعض الواجب في خدمة هذا الكتاب المستطاب سائلين الله تعالى ألا يحرمنا ما أملناه في كرمه من نيل الثواب ضارعين إليه - سبحانه - أن يكرمنا بشفاعة نبيه ﷺ يوم يقوم الناس لرب العالمين .

اللهم اغفر لناشره ولقارئه وكاتبه وسامعه وحافظه وراويه ومؤلفه آمين . يارب العالمين

وصلى الله عليه وآله وسلم .





شم الطيب في فهرس أطيب الطيب !

الحمد لله رب العالمين

شم الطيب في جمال المصطفى الحبيب ﷺ

قال شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في شعره المعروف

أحسنُ منك لم ترَ قط عيني ... وأجمل منك لم تلد النساء

خُلقتَ مبرءً من كل عيب ... كأنك قد خُلقتَ كما تشاء

وفي معجم السفر لأبي الحسن الحلواني : ١ / ٣٩٨ :

ولو سمعوا في مصر أوصاف خده ﷺ ... لما بذلوا في سوم يوسف من نقد

لوامي زليخا لو رأين جبينه ﷺ ... لآثرن بالقطع القلوب على اليد

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : «من أشد أمتي لي حُباً ناسٌ يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله» (مسلم : ٥٠٦٠) .

قال البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «كان مربوعاً ، بعيد ما بين المنكبين ، له شعر يبلغ شحمة أذنيه ، رأيته في حلة حمراء ، لم أر شيئاً قط أحسن منه» (صحيح البخاري : ١ / ٥٠٢) .

وسئل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف ؟ قال : لا ، بل مثل القمر» .

وفي رواية : «كان وجهه مستديراً» (صحيح البخاري ١ / ٥٠٢) .

وقال جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «رأيته في ليلة أضحيان - أي ليلة مضيئة لا غيم فيها - فجعلتُ أنظر إلى رسول الله ﷺ وإلى القمر - وعليه حلة حمراء - فإذا هو أحسن عندي من القمر» . (رواه الترمذي برقم ٢٧٣٥) .

وقالت الربيّع بنت معوذ رضي الله عنها : «يا بني ! لو رأيته رأيت الشمس طالعة» (رواه الدارمي في المقدمة برقم : ٦٠) .

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : «دخل علينا النبي ﷺ فقال - من القيلولة - عندنا ، فعرق ، وجاءت أمي بقارورة فجعلتْ تَسلت العرقَ فيها ، فاستيقظ النبيُّ ﷺ فقال : يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين ؟ قالت : هذا عرقك نجعله في طيبنا ، وهو من أطيب الطيب . (مسلم رقم : ٤٣٠١) .

وفي رواية : فجعلتْ - أم سليم - تُنشِّفُ ذلك العرق فتعصره في قواريرها . ففزع النبي ﷺ فقال : ما تصنعين يا أم سليم ؟ فقالت : يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا ، قال : أصبت» . (مسلم رقم : ٤٣٠١) .

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ لم يسلك طريقاً أو لا يسلك طريقاً فيتبعه أحد إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عرقه أو قال : من ريح عرقه» . (سنن الدارمي رقم : ٦٦ ، كتاب المقدمة) .

ردمك : ٦ - ٠٠٠ - ٤٣ - ٩٩٦٠